الجلاء

☆

مهما يكن من امر هذا الشعب ، في الشام ، او في بيروت ، ومهما يكن من الصواب او من الخطأ ، في اراء الناس فيه ، فهو سواء اكان في بيروت ام في الشام ، شعب ان لم يستطع بجماهيره تحديد الفروق الدقيقة بين خير وخير ، او بين شر وشر ، يستطيع – على الاقل – تمييز الشر من الخير ، وتحديد ما بين الخير والشر من فروق ، وهو يستطيع ان يُحس خلجات النفوس ، وخفقات القلوب ، وبواعث الميول ، وعوامل الاخذ بهذا الشكل او هذه الطريقة في اعلان السخط او اعلان الرضى ، وفي نشر كوامن النفس وبعث دفائن الصدور ، حينما يصطدم بحادث جلل ، يقع في تاريخه ، او تنزل فيه نازلة خطيرة تمتحن قواه . وقد يمتنع على هذه الجماهير انى كانت ، وحيثما وجدت ، والى اي وطن انتمت ، ان تفسر هذا الذي تُحسّه ، تفسيراً يجلوه العلم والفهم والوعي ، ولكنها – مع ذلك – تكون على صواب في احساسها هذا ، ويكون حدسها صادقاً ، صدقا يمتنع بعض الاحيان ، على تفسير العلم ، وعلى البحث والاستقراء .

وقد احس شعب الشام ، واحس معه شعب بيروت بجماهيرهما امس احساساً عميقاً ، الفرق العظيم بين يومي الجلاء : يومه في الشام ويومه في بيروت . وقد تجلى هذا الاحساس واضحاً قوياً ، في ما سمعناه من فريق كبير جداً ، من ابناء البلدين ، كلاماً ، على هذين اليومين التاريخيين العظيمين ، اللذين نحب ونريد ان لا ننكب بتجددهما ابداً الى يوم القيامة .

كان اخواننا يُحسون هذا الاحساس ، وفي قسمات وجوههم ، ما يدل على الحيرة العميقة القوية بهذا الاحساس ، هذه الحيرة التي تستبد باذهانهم ونفوسهم ، ولا يعرفون لها سبباً ، ولا يقوون على تعليلها تعليلاً مسكتاً مشبعاً ، او انهم كانوا لا يخطر لهم ببال ان هناك لهذا سبباً ، وان لهذا السبب تعليلاً ، ولكنهم على كل حال يحسون ، ويتبرمون ، ويتألمون .

اما نحن ، الذين احسسنا احساس هؤلاء الاخوان ، من ابناء هذه الجماهير ، ورافقنا العناصر التي كونت هذا المولود الجديد الحبيب السعيد – الجلاء – بيوميه المختلفين ، فنحسب اننا نستطيع تعليل احساسهم وحيرتهم تعليلاً « مسكتاً مشبعاً » مؤلماً ، ولكنه تعليل واقعي ، غير مصطنع ، وصحيح . الجلاء ! مولد حرية ، وحق ، ومنبثق نور ، وهدى .

الجلاء ! مولود حبيب قوي عزيز ، هو من المؤمنين الاحرار المناضلين ، كالطفل الطبيعي من امه وابيه .

تنعم عليك السماء – بعد ان تتخير لنطفتك – بطويل زمن او قصير ، فينبثق منك : من ذات نفسك ، ولحمك ودمك وعظمك ، وعاطفتك وفكرك وعقلك ، من حياتك ، الحياة باوسع معاني الحياة ، معنى لحياتك جديد ، يتركب من لحم ودم وعظم ، وعاطفة وعقل وفكر : مولود جديد ، يستوي انسانا جديداً ، حلقة من حلقات الحياة ، هو انت « مكرر » انت نفسك ، لا شأن لغيرك فيه ، ومع ذلك ، يفرح لك بالمولود الجديد ، اهلك واخوانك واصدقاؤك وعشيرتك ، حتى وجيرانك ، جيرانك الذين يتوهمون انه ليس من الخير لهم ان تنسل وان تنجب . حتى هؤلاء الجيران انفسهم قد يرون ، بل انهم يرون حتما ، انه من « اللياقة » ومن حسن « المسايرة » لك ، ان يفرحوا فيفرحون . ولكن فرحك انت ، يكون فرحاً ، من غير لون ، ومن غير جوهر ، ومن غير عنصر . يكون فرحك انت ، فرحاً كانما هو كائن حي يسعى مرحاً ، بالحياة اوجدتها انت ، كانما انت خالق يتهلل بخلقه السوي ، الذي خلقه ليطاول به غيره من المخلوقات . هذا الخالق الذي هو صنع روحك بكل ما يمسك هذا الروح ، ويستقيم لها معه معنى البقاء .

لقد كان بين الذين لم يشتركوا في « عيد » الجلاء في بيروت ، ناس تحت التراب ، قضوا نحبهم ، وهم خيرنا جميعاً . وناس مازالون فوق التراب ، هذا الجلاء من صنع ارواحهم ، بذلوا فيه ارواحهم ، حتى لم يبق منها الا ذماء . . وهؤلاء ايها الاخوان يا ابناء الجماهير الحائرة في بيروت وفي الشام ، هم الذين يعللون لكم الآن ، بقلم اضعف المؤمنين الباذلين فيهم سر حيرتكم ، فلا تحتاروا من بعد . . . وامضوا في فرحكم وحماستكم واعتزازكم وعنجهيتكم ، فانتم من خالقي الخلق الجديد : الجلاء .

علي ناصر الدين

الامير شكيب ارسلان

بقلم امين محمد ابو عز الدين

☆

كان رحمه الله قد اصيب في السنوات الاخيرة وهو بسويسرا بداء تصلب الشرايين وضعف القلب فجاء الى بيروت في اواخر شهر تشرين الاول الماضي (اكتوبر) على هواء بلاده ووجوده بين اهله وخلانه يخففان عنه وطأة ما يشكو منه ولم يعلم انه الداء الاخير وقد فاضت روحه في بيته بمدينة بيروت قبيل المغرب من يوم الاثنين ٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٦

تنقسم سيرته الى خمسة اقسام: نسبه ونشأته في لبنانه — أدبه وبيانه — جهاده في سبيل الاسلام — جهاده في سبيل العروبة — اخلاقه وصفاته. ونكتفي هنا بلمحة عن القسمين الاولين.

آل ارسلان

ان العائلة الارسلانية ترجع في نسبها واسمها الى جد العائلة ارسلان وهو ابن مالك بن بركات بن المنذر بن مسعود بن عون ابن المنذر المعروف بالملك المغرور ابن النعمان ابي قابوس بن المنذر بن ماء السماء اللخمي. كان عالماً فصيحاً شجاعاً ومدحه الشعراء وذاع صيته.

قيل انه على اثر مقابلته لابي جعفر المنصور العباسي حين قدومه الى دمشق لبى دعوة الخليفة وسار بقومه ونزلوا في الحصن المعروف بحصن ابي الجيش في وادي التيم. ثم جاءوا الى جبل المغيثة وبعدها تفرقوا في البلاد فعمروا جبال بيروت وكان ذلك في النصف الثاني من القرن الثامن للميلاد. واستوطن الامير ارسلان سن الفيل، ومن سائر الامراء من استوطن سلحمور وعبيه وعرمون وغيرها، وقد اصبحوا عملاء للخلفاء العباسيين. ومن اشهر الامراء الارسلانيين في لبنان ايام العباسيين الامير مسعود بن ارسلان الذي انتقل بعشيرته في اواخر القرن الثامن للميلاد من سن الفيل الى الشويفات وبنى فيها الابنية فعمرت بالامراء الارسلانيين منذ ذلك الوقت. كما انه سار مع الخليفة المأمون في حربه بمصر واظهر هناك شجاعة فائقة فولاه المأمون على بلاد صفد. والامير هاني بن الامير مسعود الذي تغلب على المردة وعزز النفوذ العباسي في البلاد وقد لقب بالغضنفر ابي الاهوال.

وتضاعف نفوذ الارسلانيين على اثر قدوم السلجوقيين والاكراد الايوبيين في القرن الحادي عشر للميلاد.

ولما دخل العثمانيون سوريا كان الامير احمد جمال الدين بن مفرج بن يحيي ابي المكارم المار ذكره في طليعة من شهدوا وقعة مرج دابق عام ١٥١٥ بين السلطان سليم وقنصو الغوري وبعد انكسار الغوري جعل الامير احمد جمال الدين اميراً على جنوبي لبنان ثم ولي الامير فخر الدين المعني الاول مقاطعة الشوف فوقعت النفرة بينهما وبقيام المعنيين تقلص نفود العائلة الارسلانية واقتصر حكمها على الغرب.

وممن برزوا في هذه الفترة اي منذ قيام المعنيين حتى الامراء الشهابيين الامير عباس واخوه الامير يونس نجلا فخر الدين بن حيدر ابن يحيى بن مذحج بن محمد بن احمد جمال الدين المار ذكره.

واشهر المتأخرين من امراء الارسلانيين بعد رحيل ابرهيم باشا المصري عن البلاد السورية عام ١٨٤١ الامير امين بن عباس والامير ملحم بن حيدر بن عباس وكلهم تولوا ادارة الشوف والغرب غير ان اشهر من ذكرنا فيما يتعلق بالنهضة الحديثة الامير محمد بن امين بن عباس وكان محباً للعلم اخذ بقسط وافر منه والف في التاريخ والقانون. عين في عضوية شوري الدولة العثمانية فكان المع الاعضاء رغم صغر سنه.

ولد الامير شكيب في الشويفات عام ١٨٧٠ وظهرت عليه معالم الذكاء والفطنة منذ طفولته. درس في معاهد بيروت وتلقى مبادىء العلم ولا سيما قواعد اللغة واصولها على الشيخ عبدالله البستاني الذي كان يفاخر بان الامير شكيب من تلاميذه كما ان الامير شكيب نفسه ظل مخلصاً لاستاذه لم ينقطع عن مكاتبته طول حياته ورثاه يوم وفاته بقصيدة من عيون شعره. على ان اكثر ما اكتسبه من العلوم واللغات انما قرأه على نفسه واكتسبه بجده وذكائه. وزاول النظم منذ اول شبابه وقد اشتهر بين

شعراء العربية وادبائها وهو لم يتجاوز العشرين من عمره. وكان اكبر مشجع له في هذا المضمار شقيقه الاكبر المرحوم الامير نسيب وهو من الشعراء المعروفين في اواخر القرن الماضي وحتى الحرب العالمية الاولى.

ومال الى السياسة وله من ذكائه الفطري وادبه الجم مـا جعله من المجلين في هذا الميدان واصبح في طليعة المجاهدين في سبيل استقلال الشعوب العربية والذود عن الاسلام. وساح في اوربا ورحل الى سائر بلاد المشرق وهو دون الثلاثين فاكسبته رحلاته هذه خبرة وحنكة فوق ما له من كفاآته العقلية. قال فيه الشيخ جمال الدين الافغاني في استنبول عام ١٨٩٢ عند مروره بها عائداً من احدى رحلاته في اوربا: «انا اهنىء ارض الاسلام التي انبتتك» وكان يومئذ لم يتجاوز ربيعه الثاني والعشرين.

واسندت اليه مهام ادارية في لبنان قبل الحرب العالمية الاولى اهمها قائمقام الشوف (١٩٠٩ — ١٩١١). وكأنما هذه المهام المحلية ضاقت بكفاآته وطموحه فتخطاها الى وسعة الدنيا فعمل في سبيل العروبة والدفاع عن الاسلام الا انه لم ينسَ وطنه لبنان بل مـا انفك بعدئذ ولا سيما ابآن الحرب العالمية الاولى يدفع عنه غـائلة العدوان ويخفف من وطأة الطغيان على اهله لا فرق عنده بين محمدي او مسيحي. وهذه نقطة في حياته اللبنانية يجب توكيدها هنا وايضاحها للتاريخ ورفعاً لبعض التهم المغرضة التي كان يحاول فريق من ذوي النفوس الملتوية الصاقها به لغرض في نفوسهم او تزلفاً للاجنبي.

فقد اتهم انه كان الساعي والعامل بنفوذه لدى جمال باشا في الحرب العالمية الاولى لابعاد عدد من وجهاء اللبنانيين وما نالوه من معاملة شاذة ليثأر لنفسه من فريق وليتزلف بالفريق الآخر منهم كما اتهموه ايضاً بمسايرة الاتراك فيما عزموا عليه يومئذ من الانتقاص من بعض امتيازات لبنان. والحقيقة التي شهد بها المبعدون — ان الامير شكيب سعى اولاً لاستحصال زيادة مرتبات ابناء العرب المبعدين فنالها، ثم تمكن من استصدار الاوامر بالسماح للمبعدين بالتجول والتنقل في جميع مدن الاناضول وكان هذا عاملاً مهماً في تخفيف اتعابهم ومشقاتهم. ثم صدرت عقيب مساعيه اوامر بالعفو عن المبعدين الذين تجاوزوا سن الستين فعاد جمهور كبير من المنفيين ثم اخذ يسعى تدريجاً للعفو عن الباقين ممن رأى لهم شيئاً ظـاهراً يساعدهم على طلب العفو.

والواقع ان جمال باشا كانت تحدثه نفسه بالايقاع بالامير شكيب لكن صداقة الاخير لانور وطلعت وصلته الوثيقة بهما جملته بمأمن من غدر جمال. فقد سعى في استانبول لصرف نظر الاتراك عن تجنيد الناس في لبنان وفرض ضرائب جديدة استدعتها ظروف الحرب. ومن المقول انه فاز بالحؤول دون اتخاذ بعض التدابير الثأرية بحق مسيحيي لبنان لاعتقاد الاتراك بعدم اخلاصهم واتصالهم المستمر بالعدو.

ومما يجدر ذكره ان متصرف جبل لبنان اوهانس باشا كان يومئذ من اشد المعارضين لاي انتقاص من امتيازات جبل لبنان بينما كان فريق من اللبنانيين يتزلف للاتراك ويسايرونهم بهذا الامر محرجين موقف المتصرف امام حكومته.

وليس ادرى بمآثر الامير شكيب في لبنان ابان الحرب من فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الحالي واعرف منه بقيمة خدماته وحسن صنيعه فقام بتكريمه خير قيام تكريماً ينوب فيه عن كل نفس ابية حرة في لبنان.

ادبه وبيانه

ليس في هذه العجالة التي نتناول فيها ناحية الامير شكيب الادبية من مجال كافٍ لدرس نثره وشعره وهو الملقب بامير البيان وحامل لواء الصناعتين.

كان رحمه الله ذا مقدرة عجيبة على الانشاء. تعينه قريحة فياضة فاذا ما جلس يكتب اتته الالفاظ منساقه متناسقة ويخط فكأن انامله آلة ترصف او تنضد دون مـا توقف. اسلوب جمع بين المتانة والبلاغة والسهولة يشبه اسلوب ابن المقفع شبهاً اجمالياً ولكنه من اكثر وجوهه خاص به.

اخذ البلاغة رأساً عن القرآن الكريم. وسهر مع الجـاحظ وابن المقفع كما طالع ودرس في فنون الادب والاغاني لابي فرج الاصفهاني. ولعلي مصيب في اعتقادي بان هذه العوامل او هذه المراجع التي ذكرتها وما شابهها لونا واسلوبا كانت — وربمـا ما زالت — تكوّن في الكاتب العربي ملكة البلاغة العربية الا ان المعروف عن الامير شكيب انه قرأ كثيراً واخذ عن كثير فمذهبه في الكتابة كما ذكرت هو من صنع نفسه وهو ثمرة جهاد طويل ودرس شاق اختلطت فيه مذاهب وتداول عليه ادباء وادباء من كتاب العرب الاولين.

هذا ما يبدو لي في الامير شكيب من حيث اقتداره الغريب في الانشاء اولاً ومذهبه في الكتابة ثانياً. اما الامر الثالث فهو انك غالباً ما تشم في انشائه رائحة العرب والاسلام والمدنية الاسلامية ولا ترى شائبة للتقليد فيه بل بالعكس فقد كان رحمه الله فيما ينقله او يقتبسه من الآراء والاقوال ينسب الفضل الى صاحبه.

واخيراً فيما يعترض الكاتب اليوم من المعاني الجديدة والصور المستحدثة في الادب والفن التي لم يعرفها القدماء. فقد كان الامير

(البقية في الصفحة ٧٦)

بيغماليون
أو
وسيلة الخلاص

قصة بقلم جان ديتور – ترجمة سهيل ادريس

☆

جان ديتور اديب فرنسي في الرابعة والعشرين من عمره ، يدرّس الفلسفة في احدى جامعات فرنسا . وقد فاز مع القصاص الفرنسي «رينه ماسون» بجائزة ستاندال لعام ١٩٤٦، وكان كتابه الفائز هو (Complexe de César) والقصة التي اترجمها له تعد من اجمل قصصه ، وتكشف عن فكرته الفلسفية العميقة وروحه الفكاهية الساخرة وتحليله النفسي العميق وهي تروي قصة « بيغماليون » المشهورة ولكن على نحو جديد من التفكير والتصوير .

(المترجم)

☆

كان بيغماليون فناناً متأملاً دقيقاً يمارس في قبرص مهنة النحت وصنع التماثيل . وكانت اخلاقه واطواره صعبة شديدة كذوقه سواء بسواء ، وكان كثيراً ما يصدر الاحكام الغريبة ، من ذلك ان مدينة قبرص كانت تنشد في تلك الحقبة لحنين يثيران غيظه الشديد ، هما « السيريناد » لشوبير ، وفالس كئيب لشوبان . وكان بيغماليون يكاد يختنق بهذه الموسيقى ، فاذا به ينتقدها بشدة ويرسل واضعيها الى الشيطان . وقد حزّ هذا الحكم الجائر في نفس احد اصدقائه فسأله بقوله :

— أهي غلطة شوبان وشوبير اللذين قضيا منذ ثلاثمئة سنة ؟

فاجاب بيغماليون :

— لا شك في ذلك! فما كان ينبغي لهما ان يضعا هذه الاوشاب السخيفة . . . الا يردد الشعب الحان موزار وفيفالدي ؟ ان هذين لم يرضخا للسهولة واليسر . . .

والتجويد المادي في الفن هو تجويد فكري . ولهذا لم تكن الميتافيزيقيا في اعتبار بيغماليون سوى البحث عن الجمال الذي يشمل كل شيء ، والدخول الى المعرفة من هنا ، هو الدخول من الباب الكبير ، وهكذا كان بيغماليون متحرراً! يؤمن باله الفن والجمال : ابولون ، على انه لم يكن واثقاً من وجوده ، ولا يعتبره الا اخاً كبيراً روحانياً ، كما كان « روديك » يعجب بـ« براكسيتل » او ميكالانج . كان يعبده كمبدأ لا ككائن الهي ، ولكن هذا المبدأ زُين في قلبه بمغامرات اسطورية يعزونها الى الشمس .

قصة

ويبدو الا فائدة من التحدث عن تركيب بيغماليون العاطفي . فقد كان يمارس الحب ممارسة عادية جداً . اما ان يحس بعاطفة قلبية او بود وحنان ازاء النساء ، فهذا ما كان محظوراً عليه : لم يكن يجب الا ان ينحت وقد اعتاد على ان يقول :

— ان فينوس وابولون لن يتفقا ولن ينسجما مطلقاً! فينبغي على المرء ان يكون اخصائياً في فنه ! . . .

وعزم على ان ينحت اجمل تمثال لحياته فنحت امرأة جميلة ، كانت لا شك اروع مثال للنحت القديم . فكل ما نعرفه ونجهله في ميدان التماثيل ، ليس شيئاً بازائها . ولم تكن هذه المرأة من البرونز ، كما انها لم تكن من المرمر ، لان روحاً مرهفة تستطيع ان تجد هذه المواد العامية العادية . . . لقد اقتطعها بيغماليون من قطعة عاج ضخمة لاحد الفيلة الهائلة التي كانت تعج بها غابات قبرص .

ان البرونز والمرمر مادتان من الجماد ، اما العاج فان له اصلاً حيوانياً ، بحيث ان التمثال ، اذا نُظر اليه طويلاً ، يبدو انه يضطرب بحياة الفيل الميت الذي خرج منه .

وقد سلخ بيغماليون ثلاثة اعوام كاملة في هذا العمل ، وحين فرغ منه ، سعد به ورضي ، ثم ذهب يرتاح ، واثقاً من الخلود .

والواقع ان ثمة نوعين من الفنانين : اولهما اولئك الذين يعرفون ما سينتجون قبل ان يبدأوا ، وثانيهما اولئك الذين يجهلون ما سينتجون حتى النهاية . اما بيغماليون فكان من هؤلاء ، او انه كان بالاحرى يعرف جيداً انه سينحت امرأة ، ولكن كان يجهل اية امرأة اسطورية تمثلها .

ولا بدّ من معترضة هنا . فقد قلت ان بيغماليون لا يؤمن بغير ابولون ، كما انه لا يؤمن بانصاف الآلهة ولا بالشياطين التي يبذرها بعضهم في حقول هذا الزمن الساذجة ومع ذلك ، فقد كان يستشعر ان جميع هذه التقاليد البالية ستكون قصيدة شعرية لا تصدّق . وبكلمة واحدة ، لم يكن يتخذ الآلهة الا كمواضيع مختبرة وملائمة للاعمال الفنية . ثم انه كان يعتقد بان ثمة مواضيع قليلة ، وان الموضوع لا قيمة له بذاته . وانما هو وسيلة لتسجيل ما يملكه قلب الانسان في المادة الجامدة . ولو كان بيغماليون المشترع الاكبر لاعمال الفكر ، لوضع ثبتاً باثني عشر موضوعاً ، ومنع الفنانين من معالجة سواها .

واذن ، حين فرغ بيغماليون من صنع تمثاله ، فكّر في ان يطلق عليه اسماً ، فكان اولاً اسم « غالاتيه » . و « غالاتيه » هذه اسم مرن جميل ، وهو اسم امرأة عرفها من قبل . غالاتيه .. غالاتيه .. وردد هذا الاسم عدة مرات .. وكما يحدث دائماً ، ما لبث « غالاتيه » — من فرط التكرار — ان اصبح كلمة فارغة ، مضحكة وكرهه بيغماليون .. ثم ان هذا الاسم كان ينافي نظريته في اختيار المواضيع . وانغمر في ذاته وخرج منها بكلمة : فينوس .. سيكون التمثال فينوس ، وهو اسم بسيط ينسجم مع النظرية ، ولا يعني شيئاً فضلاً عن ان له روحاً دينية جديدة بان تقتن المترمتين الرصينين !

وفي اللحظة التي كان بيغماليون يحفر فيها اسم « فينوس » على قاعدة التمثال ، اصابت فينوس الحقيقية في السماء ، او بالاصح على جبل الاولمب ، رعشة ودغدغة . فتنكرت بشكل دخان وبخار ونسمة ، وتحاملت الى دار بيغماليون ، ونظرت الى التمثال فقالت في نفسها « لا بأس به .. ولكن اية فكرة في صنع هذا ! ... ان هذه الآلة التي تدعي انها تمثلني تشبه فتاة باردة ! شكراً لك يا رب ! انهم لم يصوروني هزيلة ! »

وظاهر ان فينوس ، الاهة الحب ، كانت بعيدة عن ان تنفذ الى افكار مثّال قبرصي دقيق ... وظلت تتأمل التمثال الذي يحمل اسمها ربع ساعة ، ثم شعرت بالملل ، فعادت الى الاولمب وراحت تسأل :

— اين ابولون ؟

فقفز إله الشمس من مركبته برشاقة وقال :

— هأنذا !

— لقد صنع مثال صغير صورتي يا أبو .

— اعلم ذلك .

فقالت فينوس بحماقة الذين ينبئون الناس انباء يعرفونها :

— انه بيغماليون من قبرص ، فكيف تجد هذه اللعبة ؟

— انه عمل رائع ! يا اختي ...

— انا ، لم اجد هذا كذلك .. ليس في الوجه اية حياة .

— انك مخطئة ، فمنذ ان كان العالم عالماً ، لم تُنحت لك صورة في جمال هذه الصورة !

فقالت فينوس : — احق ما تقول ؟

ولا شك ان لكل صلاحيته . فان هذا الأخ كان يصدر احكاماً عادلة صادقة على اللوحات والالحان وسائر الموسيقى ، في حين ان احكامه على الاحاديث والامور العادية لا تنفع شيئاً !

ولكنها ، هي ، كانت ربة الاحاديث والشؤون العادية ، ولم يكن لاحد ان يتفوق عليها في هذا المضمار . وقالت بعد لحظات تفكير :

— اريد يا ابو ان افعل شيئاً لهذا الشاب

— أي شاب ؟

— آه ... كم تضايقني .. انك طوال الوقت سابح في القمر ... بيغماليون !

وماذا تريدين ان تضعي ؟

— لقد اراد بيغماليون ان يسرني بـ « فينوس » هذه . ثم انني على يقين من جهة اخرى انه قدّم انموذج المرأة التي يحبها فانا اعرفهم ، هؤلاء الفنانين : انه يحب تمثاله !

فقال ابولون : — ليس بهذا الشكل !

— بأي شكل اذن ؟

— انه لا يحب على الطريقة التي تتخيلين !

— بلى !

— حسناً !

— واذن ، فسأبدل تمثاله الى امرأة ..

وهكذا تكون له . . .

— سخيف ما تقولين !

فحزّ ذلك في نفس فينوس . ولكنها لم تنثنِ عن عزمها . وكانت تريد ان تقنع بصحة وجهة نظرها ، وبان « الحب » اقوى من « الفن » : واذن فقد قلبت التمثال الى امرأة .

وكان بيغماليون متغيباً عن داره . كان في الحديقة العامة يصلّي لابولون . ذلك انه كان يفضل هذا المكان على المعبد ، لان اجمل التماثيل التي صنعها امهر المثالين كانت متجمعة فيه . . . وكان بيغماليون الى ذلك يمل الطقوس الدينية ويعتقد ان محراب ابولون الحقيقي كان يده اليمنى الماهرة ! . . . كان يحترم هذه اليد اليمنى احتراماً شديداً ويوليها عناية بالغة ، حين لا يستغرق في عمله . وكان يخشى عليها اي جرح او مرض يصيبها او يعرّض احد اصابعها للخطر فيودي بها الى الاحداب والقحط .

وكان قلب بيغماليون يخفق بالحماسة التي اثارها جهد عمل ناجز في ثلاثة اعوام . وقد باح لابولون باشياء مؤثرة جداً وجميلة جداً . وفكر الآله في نفسه : « هذا الطفل ، لا يعرفني ، وهذه هي لا ريب اجمل واروع صلاة صلّيت لي منذ قرون . . ومثل هذه اللحظات تعزّيني بان اكون آلهاً ! »

وحين عاد بيغماليون الى داره ، اخذته الدهشة حين سمع صوتاً عذباً جلي النبرات ينشد اللحنين نفسهما اللذين كان يحتقرهما . وما كادت «سيريناد» شوبير تنتهي حتى بدأ الصوت الجميل يشدو بفالس شوبان . والواقع ان هذه كانت ارادة فينوس ، فقد كانت تحكم على هذين اللحنين بانهما جميلان اذ انهما يعكسان الحب الكامل ، وقد كانت تعتقد انهما لا بدّ ان يسحرا بيغماليون .

وصاح المثال بينه وبين نفسه : — هذه الالحان السخيفة بعد؟ لا شك في انه صوت جميل ، هذا الصوت الذي يرددهما . . ولكن الم يجد اجمل منهما . . والواقع اني غادرت البيت خالياً . فمنذا الذي دخله بعدي ؟

ومع ذلك ، فقد توجه بيغماليون الى غرفة عمله ، كما هي عادته ، وبحث عن تمثاله . . . فاذا هو قد اختفى . غير ان القاعدة كانت لا تزال في مكانها ، ولكن ما نفع القاعدة ؟ وصاح بيغماليون :

— لقد سرقوني !

وغرق في وادي اليأس . . . ثم تذكر فجأة الصوت الذي سمعه منذ حين ففكر . « لا بد ان تكون هذه المغنية قد رافقت السارقين الذين فرّوا بفينوس . . وقد كان عليّ ان اقبض عليها او اقسرها على الاعتراف . اما الآن ، فقد فرت . . هي الاخرى ! »

وعاد بيغماليون الى البحث حزيناً مريضاً يكاد يقضي من اليأس . ولكن البيت كان خالياً . واخيراً رفع ستار الغرفة الصغيرة التي كان زبائنه يخلعون فيها ثيابهم فوجد التمثال . . وسرعان ما صاح من فرط سروره ودهشته ايضاً . . لان التمثال قد غيّر وقفته وارتدى الثياب . . . ثم تحرّك . . وتكلم بعد ذلك . . ولكن ماذا قال ؟ لم يقل شيئاً عظيماً . . وانما :

— كوكو . . .

وتحدث بيغماليون ساعتين الى التمثال ثم نزع عنه الثياب ، وراح يتفحصه . . وبعد ان وجد فيه جميع دقائقه ، ولمس الاصبع المشوّه في القدم اليسرى ، وبعد ان تأكد من ان هذه المرأة المتحركة ، الحارة ، المتكلمة ، الباسمة ، الباكية ، المحبة ، انما هي تمثاله ، استغرق في يأس أشد من يأسه الاول !

وفي تلك اللحظة ، ظهرت فينوس . وكان بيغماليون متهالكاً في آلامه . وربتت الالاهة على كتفه ، فرفع رأسه وسمعها تقول : — انني فينوس

— آه !

— اذا لم تكن تصدقني ، فما عليك الا ان تمر اصبعك خلال جسمي فترى انه روحاني !

وأمرّ بيغماليون اصبعه ثم قال : — لقد كنت اعتقد ان ليس لك من وجود .

وتأمل بيغماليون بفينوس فاذا هي لا تنزع بالشبه الى تمثاله . ولكن هذا لم يدهشه . لقد كان في جمال رائع ، هذا لا شك فيه ،



ولكنه جمال من طراز القرن الثامن عشر. جمال اشبه بجمال لوحات «بوشيه» ...

وتساءل بيغماليون: — ماذا اذن ؟

— الست مسروراً راضياً ؟

— لا ..

فقالت فينوس: — انني لم اعد افهم لقد وددت ان اسرك، فقلبت تمثالك الى امرأة .. وانت تعلم انها تمثالك بكل دقائقه لم يتبدل فيه شيء!

— اعلم ذلك .. لقد تفحصته.

— لقد ابدلت تمثالك لانك واقع في حبه، والمرء الذي يعشق شيئاً يرغب في امتلاكه.

— ولكنه كان ولدي .. ولست فاسقا!

فاجابت فينوس مطمئنة بعض الشيء..

— لا تعتسف الصعوبات اعتسافاً. انك تحب تمثالك، ولقد اشفقت عليك فقلبته الى امرأة .. وهكذا اصبح لك.

فصاح بيغماليون بذعر: — آه!

— تتزوج بها اذا فضلت هذا التعبير ثم انني بالواقع ازوجكما .. ها قد تم ذلك انتما زوجان الى الابد!

لم يكن يجدر بفينوس ان تتكلم هذا الكلام .. فقد نهض بيغماليون فجأة وراح يكيل السباب والشتائم لفينوس .. اجل! لقد شتمها، وهذا ما قاله:

— سيدتي الالاهة. لقد كنت على حق في الا اومن بوجودك. فان مهزلتك القذرة هدمت حياتي وعملي كليهما. وانني افرض انك كنت تحسبين ما عملته خيراً، ولكن هذا لا يمنع ان تكوني بلهاء مخيفة! ومما لا شك فيه انك لا تفقهين شيئاً في الفن او الفنانين. انك تجهلين ما هو صنع ساق جميلة من المرمر، او ذراع جميلة او فخذين جميلتين. وسواء لديك ان يكون المرء بايدأ احمق او جميلاً رائع الوضع. انظري هذا التمثال الذي احييته كيف يتهادى ببلادة وحماقة ... ان مما يدعو الى البكاء حقاً ان يعمل الانسان ثلاثة اعوام ليمنحه الانسجام والتناسق. ان الحياة شيء، والفن شيء آخر .. اترين من الحكمة ان تعطري بالكولونيا ورودأ من ورق ؟

« لقد وضعت عملي للخلود .. وتمثالي الجامد، لم يكن ليموت! بل انه كان سيخلد على ممر الدهور والمدنيات .. اما الآن، فقد جعلت منه امرأة تتحرك ولا شك في انها ستموت .. فهذا هو الخلود الذي يفنى! وبماذا ؟ بحركة، بحركة صغيرة واحدة، حركة تمثالي الاولى، تمدد ذراعيه المتحررين من العاج .. اية فاجعة! لقد جهدت ثلاثة اعوام، وكان علي ان ابصق في الماء!

« واود الآن ان اتنبأ، واجعلك تلمسين باصبعك القذارة التي ارتكبتها. ولعلك تعتبرين الطهارة شيئاً تافهاً وعبثاً من العبث. ومع ذلك، فاعلمي انني عشت حتى الآن طاهراً. واعني بذلك انني احب كل شيء بالفكر: ولا سيما الاجسام، ولست احبها بالجنس كما يفعل اصدقاؤك، كما انني كنت اسعد بان يعجب الناس بتماثيلي ... كنت اغتبط ببراءة .. وقد كانت هذه التماثيل ملكاً للآخرين كما هي ملك لي، انا الذي خلقتها. اما اذا جعلتني احدى وسائل سحرك المؤسفة اقع في حب هذه السيدة، فانني ساصبح حسوداً مخاصماً وقد اقتل منافساً لي، بحيث انك التماساً لسعادتي تقودينني الى السجن!

« لقد كنت ملتهباً بنار روحية رائعة ولم اكن اسر الا في وحدتي، ولن يكون المرء فناناً حقاً الا حين يصدف عن الرفقة والصحبة. اما انت، فقد هبطت بي الى اللحم والدم، فلن يسعني بعد ان اترك ذيل زوجتي التي ستقتلني بالحماقات، لانها اقتبست فكرها منك، وان صنعت انا شكلها. فلن افكر بعد الا بان احب واعشق ...» وستمنعني من ان اعمل»!

« ثم انها ستلد لي اطفالاً ينبغي اطعامهم ولن ينفكوا عن الصراخ! وهي اخيراً ستشيخ فاذا هي ذابلة قبيحه تشمئز منها النفس. واحسب اني سأتقيأ لمرآها مقدماً! سوف تصبح عجوزاً بلهاء ... غراباً اعبده! اي مصير! كان علي ان اعمل طويلاً بعد، وها ان كل شيء قد انتهى! فليس من الممكن ان يكون احدنا فناناً وزوجاً في وقت واحد.

« فوداعا، يا ابولون، انت الذي كنت احبك كثيراً! انك لست موجوداً .. ان الموجودة هي فينوس، وهي التي اصبحت الاهتي التي اكرهها!»

وكان الغضب قد استثار جنون فينوس فاذا هي تزمجر:

— هذا. هذا فظيع! لقد حسبت اني عملت خيراً .. وعلى هذا الشكل اشكر!

وهنا، وصل ابولون الى دار بيغماليون فجدد مرآه روح العزم في صدر الرجل المسكين فاذا به يصيح:

— يا آلهي! ما جمله! انه موجود مع ذلك! ولكن اية سخرية! لقد كنت انتظر ظهوره في كل لحظة عندما كنت اصنع تمثالي. والآن فقط يتنازل. وفي اي ظرف!

واتخذت فينوس اخاها شاهداً، فابتهلت اليه ورجته، فاذا بابولون يتوجه الى بيغماليون بهذه الكلمات:

— انك تبالغ يا صديقي الصغير .. ان مثل لغتك لا يمكن ان توجه الى الالاهة

ولكنك لا تتوقف الا علي، وانا لا اكره التجديف اذا كان من الفكر! فلن تذهب الى جهنم لهذه المرة!

ثم التفت ابولون الى شقيقته يقول:

— انك يا سيدتي ارتكبت حماقة كبيرة! وان حضورك خطأ كريه، فارجعي منذ الآن الى الاولمب ولا تتدخلي بعد اليوم في اعمالي!

وخرجت فينوس مروعة. وما لبث ابولون ان دنا من بيغماليون فلامس خده ثم قال:

— انشقيقتي — يا بني — قد ارتكبت حماقة كبرى! . . .

وفي تلك اللحظة، صاح التمثال جزعاً بقوله:

— لا تعيدني الى تمثال بربك!

وتابع ابولون:

— ولكن هناك بعض اسباب تعزيك: اولا، لقد لامستُ خدك، وهذا ما لم افعله لاحد قط! ثانياً: انك مازلت شاباً جديراً بان تصنع اعمالاً باهرة اخرى ثالثاً: ان هناك وسيلة ممتازة للتخلص . .

فسأله بيغماليون: — وما هي؟

— لن اقولها لك. لقد علمتني الملائكة لغتها. فلا ينبغي لاله ان يدعو هرة هرة. واجترئ. بان اومي. لك بان ثمة وسيلة للتحرر فابحث عنها! والآن، عم مساء!

وكان بيغماليون على غاية التعب.

ونظر الى تمثاله الذي كان يبسم له، فالفاه فاتناً ساحراً، ولكن هو كان شديد الوهن. . وتمتم:

— انني تعب جداً. . ان هذه القصص رائعة معجبة، ولكن يجب ان اعترف بانني الآن عاجز عن تركيب فكرتين. . سأتدبر ذلك كله غداً.

واقبل التمثال بعد حين، يجلس الى جانب الذي صنعه. كانت على غاية اللطف والود والحنان، واذا هي تمر ذراعيها حول عنق بيغماليون، ثم تلصق خدها بخده وتتنهد قائلة:

— استرح يا عزيزي . . .

ولم يمتنع بيغماليون . . كان التمثال شديد الاناقة والجمال. وانتهى بيغماليون اخيراً بان استشعر الرغبة، مما سر له التمثال واغتبط. وجمع التمثال سحر فينوس الى الخجل والاحتراس. وقضى بيغماليون ليلة رائعة، فنام متأخراً ولم يفق الا حين آذن الظهر. وكان التمثال قد نهض وقضى الف عمل وعمل: السوق والترتيب و . . .

وتمدد بيغماليون في سريره، وراح يتأمل التمثال الذي كان يرتب شعره بطريقة ساحرة، وظل يحدق فيه زهاء ساعة . . وكان التمثال يردد لحن «السيريناد» . . .

ونهض بيغماليون، فارتدى اجمل اثوابه ثم عانق التمثال الذي اظهر له الدلال والخفة والحنان جميعاً . . وقال بيغماليون:

— لاحظت يا زوجتي انه لم يبق ثمة كبريت في البيت. فاسمحي لي بدقيقتين لأذهب فابتاع الكبريت في زاوية الشارع

وذهب بيغماليون ليشتري اعواد الثقاب.

ولم يعد ابداً.

وشق ذلك على التمثال وشعر بالأسى والحزن العميق، ولكن جماله ما لبث ان ذاع في البيوت المجاورة. وبعد مضي خمسة عشر يوماً على هذا الحادث الكئيب اقبل صاحب مصرف كبير يخطب التمثال الحي ويتملكه دونما جهد وقد اشتهر بعد حين بزينته وجماله في مدينة قبرص التي كانت مشهورة بذلك العطر الذي يحمل اسمها . . .

ترجمة: سهيل ادريس

جنة العبير

☆

مهداة الى الياس خليل زخريا

☆

لعلي محمد شلق

درعا — سوريا

☆

أنا مالئ الدنيا لأني كيفما شئت أغني
من ظلي الارض ابتهال الشوق او هفُ التمني
جنحاي منداح النجوم والمدى الممراح لحني
ومسارح المجهول مرمى مقلتي ومطاف ظني

***

أنا كل شيء حيث قلبك لي وذكرك ملء ذهني
بك شدت كونا مترفاً من طيب احلام وفن
فاذا لمحت فمقلتي واذا سمعت فوعي أذني
وبنا .. تغيب حدود دنيا من تعلات ووهن

***

يا حلوتي يا فيض روحي أنت من زِفني ومني
يا جنة الالهام اين انا؟ وكيف سألت عني

***

أنا شارب من عمق نفسي هاك اكوابي ودني
أنا خازن موج العبير منحت عن كرم ومن
أبني من الاطياب اجنحة وللآباد أبني

***

ملأ العبير دمي ولاسمك هزة الوتر المرن
اهواك وهماً وارف التميال مغداق التثني
تترقرق الالوان فيه على شراع مرجحن
فدعي رؤاي . دعي لي الأطياف لا تدني دعني
اهواك بل اهوى الذي في خاطري ، أهوى لأني ..

بعثة كنغ - كراين

بقلم محمود خليل صعب
استاذ في العلوم السياسية ومدير الكلية الوطنية في الشويفات

☆

مقدمة البحث

اقام متخرجو الجامعة الاميركية في بيروت حفلة انس على شرف العلامة الدكتور فيليب حتي اثناء وجوده في لبنان في حزيران المنصرم ، حضرها عدد من رجال الحكم والصحافة وعمدة الجامعة والوجهاء . وقد القى المحتفى به في تلك المناسبة ، كلمة تناول بها بعض امورنا العامه بصراحة وجرأة . وكان مما ذكره ، ان احد الوزراء العرب ، الذين مثلوا حكوماتهم في مؤتمر سان فرنسيسكو في الولايات المتحدة ، لم يكن قد سمع بعد ببعثة « كنغ – كراين » الاميركية ، ولا بالتقرير الذي وضعته عن البلدان المسلوخة عن السلطنة العثمانية ، في مشاريع معاهدات الصلح في مؤتمر باريس .

شاء الدكتور حتي ان يدلل بهذا ، وبعدد من الشواهد الاخرى — التي ذكرها في حينه ، ولا يتّسع لها المقام في هذا المقال على عدم اهلية الكثيرين من رجال الحكم عندنا للمناصب التي يشغلونها ، واراد ان يشير الى قصر مدى النجاح الذي نصادفه والى الغضاضة التي تلحق بنا ، وممثلونا في المؤتمرات الدولية يجهلون — ليس التاريخ السياسي العام والاصول والقوانين الدولية فحسب بل الاحداث السياسية الهامة التي مرت على العالم العربي ، حتى في تاريخها الحديث

على ان جهل بعض حكامنا وعدم كفاءتهم ، والمسؤولية عن هذه الحال ، على اهميتها وبعد اثرها ، ليست بالامور التي ستعنينا كثيراً في هذا البحث ، انما كان هذا الحادث حافزاً لي ، على دراسة العوامل والمبادىء والاماني التي ادت الى تكوين لجنة « كنغ – كراين » والظروف التي رافقت تأليفها واعمالها ، ثم التقرير الذي وضعته ، وهو خلاصة دراسة علمية منزهة لرغبات وميول الشعوب التي انفصلت عن الامبراطورية العثمانية ، وفي مقدمتها العرب في سورية والعراق ، وتوصيات حكيمة رشيدة ، لو عمل مؤتمر الصلح بموجبها ومقتضاها ، لما غاص الشرق الادنى في بحور من الدماء ، ولما تعاقبت الثورات والاضطرابات في سائر انحائه طيلة ربع قرن . ولو تمشى زعماء الامم المنتصرة آنئذ على المبادىء العامة التي رسمتها بعثة « كنغ – كراين » لكان اقل ما ربحه العالم — على الارجح — منع الحرب الكونية الثانية .

ان تقرير لجنة « كنغ – كراين » ليس وثيقة تنحصر اهميتها في بقعة معينة من بقاع الارض ، ولا تحد اثرها حقبة من حقب الزمن ، بل هو شاهد قيم على النزاع القديم المستديم بين الحق والقوة ، والعدالة والظلم . فلم تمن وثيقة من وثائق الحقبة التي تم فيها وضع معاهدات الصلح ، باكثر مما مني به تقرير « كنغ – كراين » من الكتمان والطي ذلك لانه جاء نقضاً لوسائل الديبلوماسية الاوروبية ، التي ما زالت دورياً تزج العالم في الحروب ، وثورة على الانانية القومية التي كانت ولم تزل لا تستنكف عن الوصول الى غاياتها ومصالحها الذاتية على اشلاء الضحايا البشرية . لقد كان عمل بعثة « كنغ – كرين » محاولة جريئة صادقة ، لبناء صروح السلام على الحقائق الراهنة والوقائع الملموسة ، لا على الاضاليل والدعايات الكاذبة . ولكن انى للدول في ذلك الحين — او اليوم — ان تأخذ هذا السبيل الذي لا تقوى على التمرس به الا النفوس الكريمة والقلوب الخيّرة .

لجنة كنغ – كراين

انبثق الشعاع الاول لفكرة ارسال لجنة الى الشرق العربي تدرس رغبات واماني شعوبه ، وتكون

مستنداً لتقرير مصيرهم في مؤتمر السلام سنة ١٩١٩ عن ذلك النجم المتألق في سماء الجهاد العربي – فيصل العظيم – فانه في الابحاث التي عقبت مطالبته باستقلال البلاد العربية الاسيوية ووحدتها – باستثناء الحجاز وعدن – براً بوعود الحلفاء ، وتمشياً مع المبادىء التي بشروا بها ، اقترح على مؤتمر الصلح تعيين لجنة تزور سورية وفلسطين وتتحقق من رغبات السكان ، كما يصير تطبيق نظرية « حق تقرير المصير » كما جاءت في نقاط ولسن الاربع عشرة ، وفي التصريح الانكليزي – الفرنسي بتاريخ ٧ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ . وكان من الطبيعي ان تستهوي هذه الفكرة الرئيس « ودرو ولسن » مؤلف النقاط الاربع عشرة ، فعاضدها ولم يلبث ان تبناها .

وتردد « لويد جورج » طويلاً قبل ان يوافق عليها ، على انها منذ البدء اصطدمت بمعارضة « كليمنصو » ولم يكن « اورلاندو » ليعنيه الامر كثيراً او قليلاً على ما يظهر . لكن الرئيس ويلسن وفق اخيراً الى حملهم على الموافقة على ارسال لجنة دولية تمثل فيها الدول الاربع العظمى بالاسوة ، تزور سورية ، واذا ما اقتضى الحال ، البلدان المجاورة لدراسة الاوضاع والرغبات وتقديم تقرير بها الى مؤتمر الصلح .

عين الرئيس ولسن مندوبي اميركا ، وهما الدكتور هنري كنغ والسيد شارل كراين ، واسمت الحكومة البريطانية السر هنري مكماهون والقائد د . هوغارث ، ولم تتخذ الحكومة الفرنسية اية خطوة في الموضوع لاقتناعها بان افهام واظهار حقيقة الرأي العام في سورية ، غير مؤاتيين لمصالحها . ودخلتها الريبة في نوايا الانكليز الذين قد يستخدمون نتائج دراسات البعثة لاقصائها عن سورية ، وهي الحريصة على السيطرة عليها . ومع ان بعض الاوساط البريطانية ، خصوصاً السلطات القائمة في الشرق العربي كانت تفكر جدياً في شراء مصالح فرنسا في سورية ، الا ان الحكومة البريطانية كانت تخشى بدورها نتائج الاستفتاء في العراق وفلسطين ، فيما يختص بانتدابها عليها .

وكان الصهيونيون في طليعة المعارضة ، حتى ان « بلفور » وجه مذكرة الى حكومته بان تستثني الارض التي وهبها من جيب العرب الى بني اسرائيل ، من الاستفتاء . وما كانت ايطاليا – كما اشرنا سابقاً – لتهتم بعمل لا مصلحة خاصة لها به .

وبين معارضة الفرنسيين والصهيونيين وعدم اكتراث الطليان وتردد الانكليز ، قضي على فكرة ولسن بارسال لجنة دولية للتحقيق ، وما اكثر افكار ولسن ومبادئه التي اسدل عليها مؤتمر باريس ستار الاهمال . لهذا – اضف اليه معاكسة بعض معاوني ولسن الذين كانوا يرون انه من الممكن تحري الحقائق عن سورية في باريس نفسها – لم يثن ذلك الانساني العظيم عن عزمه حتى ولو لم تمثل اية دولة غير الولايات المتحدة في اللجنة . وهذا ما حدث بالفعل . ففي العام العاشر من حزيران سنة ١٩١٩ وصل الى يافا « القسم الاميركي منه لجنة التحقيق الدولية في الانتدابات في تركيا » او اللجنة المعروفة باسم لجنة « كنغ – كراين » وبدأت للحال اعمالها .

صرفت اللجنة اثنين واربعين يوماً في سورية الجنوبية والشمالية ، انتقلت بعدها الى كيليكية ومنها الى الاستانة حيث وضعت تقريرها وعادت الى باريس في نهاية آب ، واودعته امانة سر وفد الولايات المتحدة في مؤتمر الصلح . ثم سافر الدكتور كنغ الى الولايات المتحدة والمعتقد ان التقرير الكامل لم يصل الى الرئيس ولسن ، الا قبيل مرضه الاخير ، ولذلك لم تتح له قراءته بكامله . انما كان قد اطلع على ملخصه الذي ابرقته اليه اللجنة من الاستانة . على كل ، لم تعمل حتى الولايات المتحدة شيئاً بشأنه ، اللهم الا ان تكون سلمت صوراً عنه الى الدول الاخرى .

ونام التقرير في خزائن حكومة وشنطن « ثلاث سنوات ونيفاً » حتى وفقت مجلة « المحرر والناشر » Editor&Publisher الاميركية للحصول عليه فنشرته بتاريخ ٢٢ كانون الاول سنة ١٩٢٢ وكانت الدول العظمى قبل ذلك بوقت طويل ، قد بنت صروح السلم على رمال اوهامها وشيدت الدويلات ، واقامت المنظمات على منزلقات مصالحها الخاصة . وكانت انكلترا وفرنسا المهندسين الاعظمين في تلك انشاءات ، خصوصاً في الشرق العربي .

تقرير لجنة كنغ – كراين

بنت اللجنة استنتاجاتها ، ووضعت توصياتها بشأن سورية والعراق ، على دراسة موضوعية دقيقة نزيهة . ففي المدة التي قضتها هنا زارت ستاً وثلاثين مدينة من مدن سورية الكبرى ، يتبعها نحو من ١٥٢٠ قرية واستقبلت ٧٨٣ وفداً واستلمت ١٨٦٣ عريضة من مختلف الهيئات والجماعات الدينية والقومية . وعلى ضوء المعلومات المنسقة علمياً في هذه الاتصالات توصلت الى الحقائق الراهنة الآتية :

١ – ان الاكثرية الساحقة من السكان (٨٠ر٤ بالمئة من العرائض) طالبت بانشاء دولة سورية موحدة تضم كيليكية ويحدها من الشمال خط جبال

طوروس، ومن الشرق نهر الفرات والخابور وخط يمتد شرقي ابو الكمال الى الجوف، ومن الجنوب خط يمتد من الجوف الى نقطة تقع جنوبي العقبة، وغرباً البحر الابيض المتوسط. كما ان فئة ثانية (٩ر١٠ بالمئة من العرائض) طالبت بانشاء دولة لبنانية كبرى. وقد لاحظت اللجنة على هذه الفئة من العرائض ان العدد الاكبر قد كتب بالحرف الواحد مما دل على ان الفرنسيين في المنطقة التي كانوا يحتلونها قد نظموا الحركة، ووضعوا صورة للعرائض وتذرعوا بوسائل عديدة لحمل الناس على توقيعها. وما تبقى من العرائض — وهو النذر اليسير — تضمن ترتيبات جغرافية متنوعة كفصل فلسطين عن سوريا الكبرى، واعطائها حكماً ذاتياً ضمن الدولة السورية، ثم فصل كيليكية. الى آخر ما هنالك...

٢ — ا — ويأتي الامر الثاني من حيث اكثرية المطالبين به (٥ر٧٣ بالمئة من العرائض) الاستقلال التام للدولة السورية. على ان اللجنة استنتجت ان المقصود بالاستقلال التام، لدى الاكثرية من موقعي العرائض لا يتنافى مع مساعدات فنية واقتصادية من جامعة الامم او اية دولة اخرى.

ب — كذلك جاء ٥ر٦٨ بالمئة من العرائض، مطالبة باستقلال العراق التام، كما يجب ان يضاف الى هذه النسبة عدد من العرائض طالبت باستقلال جميع البلدان العربية، وشملت بالطبع العراق.

٣ — اما من حيث شكل الحكم فان اكثرية السكان (٣ر٥٩ بالمئة) يطلبون انشاء حكومة ملكية دستورية ديموقراطية لامركزية، يحمل تاجها الامير فيصل بن الحسين. وتوزعت آراء البقية من السكان بين النظام الجمهوري وانواع اخرى من دقائق التنظيم الحكومي.

٤ — الانتداب — لقد اظهرت اكثرية العرائض والمقابلات ان رغبة السكان — اذا لم يكن بد من مساعدة اجنبية — في ان يعطى الانتداب على سوريا، لاميركا (٥ر٦٠ بالمئة من العرائض) وفي حال عدم امكان ذلك فلتكن بريطانيا. اما فرنسا فقد نالت ٦٨ر١٤ بالمئة من الاصوات واكثرها من لبنان، حيث قام على تنظيم حركة المطالبة بفرنسا، الفرنسيون انفسهم وتذرعوا بالقوة والدعاوة لبلوغ مآربهم.

٥ — الصهيونية لقد احتج موقعو (٣ر٧٢ بالمئة) من مجموع العرائض على الصهيونية، بينما كان ٣ر٨٥ بالمئة من العرائض الفلسطينية ضدها ولا يهمنا في هذا البحث، وقد حصرناه بالشؤون العربية — كما ان المجال لا يتسع لدرس اعمال لجنة كنغ — كراين في ارمينيا وتركيا، ونتائج تحقيقاتها انما يجدر بنا، وقد ذكرنا بايجاز ما توصلت اليه من الحقائق عن سورية وقبل ان ندخل في سرد توصياتها، ان نشير الى حدث سياسي هام، كان قد تم قبل وصولها الى سوريا، وهو مؤتمر دمشق.

وما ذلك الا للتدليل على صحة الاستنتاجات التي توصلت اليها لجنة كنغ — كراين، والمطابقة العظمى بين هذه الاستنتاجات وبين مقررات المؤتمر المذكور.

كان الامير فيصل قد عاد من اوربا في ايار سنة ١٩١٩ والتشاؤم يملأ صدره. فقد شاهد بام العين، ولمس لمس اليد، القوى العاتية الجائرة التي كانت تتلاعب بمؤتمر باريس، والمصالح الدولية الخاصة التي كانت تتضارب كيما تتفق على حساب الشعوب الضعيفة التي خدعت بوعود الحلفاء، وما اذاعوه على العالم من مبادىء واهداف لكنه اخفى تشاؤمه، ولم يظهر مخاوفه من النتائج الا لبعض المقربين اليه. على ان سورية والعالم العربي باجمعه كان يغلي كالمرجل مرتقباً الاخبار، وكلها لا تبعث على الاطمئنان ولم يكن سكوت فيصل الا ليزيد المخاوف ويثير المحاذير، حتى اندفع بعض الزعماء والجمعيات بالانتقاض على ذلك الجو الملبد بالآمال والمخاوف. فتقدم حزب الاستقلال العربي — الذي لم يكن غير حزب «الفتاة» السري، وقد اعلن وجوده وخرج من الكتمان، باقتراح لدعوة جمعية عمومية لسورية، فوافق الامير فيصل على الاقتراح، واشرف على تنفيذه. ولم يمانع بالعجلة به اذ كان يأمل انه لا تلبث ان تصل اللجنة الدولية المنتظرة وتساعد على كشف الغمة بتقديم الحقائق الراهنة الى مؤتمر الصلح التي ستتفق ولا شك مع اعمال الجمعية الوطنية وتبرر اتجاهاتها.

اجريت الانتخابات وشملت جميع المناطق السورية بما فيها لبنان. انما منعت السلطات الفرنسية بعض المندوبين اللبنانيين من التوجه الى دمشق، ولكن، رغماً عن هذا فقد حضر الجلسة الافتتاحية ٦٩ من اصل ٨٥ مندوباً، ولم يسجل اي طعن او انتقاد على صحة تمثيلهم. الا ان المسيحيين من سكان سوريا مثلوا بعدد من المندوبين يفوق نسبتهم من مجموع السكان. وهذه حسنة للمؤتمر وليست سيئة نظراً الى اوضاعنا المعلومة.

وكانت نتيجة مداولات المؤتمر وابحاثه اتخاذ القرارات الآتية، واعلانها على العالم، والمطالبة بتنفيذها وتحقيقها:

١ — الاعتراف بسورية (بما فيها فلسطين ولبنان) كدولة مستقلة موحدة، والمناداة بالامير فيصل بن الحسين ملكاً دستورياً عليها. كذلك الاعتراف باستقلال العراق (ولا يخفى ان معظم زعماء الحركة

العربية من العراقيين، كانوا في ذلك الوقت حول الامير فيصل في دمشق).

٢ – رفض معاهدة «سيكس – بيكو» ووعد «بلفور» وكل وثيقة اخرى تستهدف تجزئة سورية، او اقامة دولة يهودية فيها.

٣ – رفض السيطرة السياسية المنصوص عنها في نظام الانتدابات وقبول المساعدات الاجنبية لمدات معينة على ان لا تتنافى مع الاستقلال والوحدة. ثم اعطاء الافضلية للحكومة الاميركية والا فلانكلترا في تقديم هذه المساعدات.

٤ – رفض المساعدات الفرنسية مهما كان نوعها.

تبدو امامنا جلية المطابقة التامة بين مقرارت مؤتمر دمشق وبين نتائج الاستفتاء الذي قامت به لجنة كنغ – كراين، وليست هذه المطابقة نتيجة اتفاق او صدفة بل في كلا الحالين، في مؤتمر دمشق وامام المندوبين الاميركيين، اتيح للشعب السوري ان يعلن رغائبه السياسية ويظهر امانيه القومية دونما اكراه او تشويق.

توصيات لجنة كنغ – كراين

استندت لجنة كراين توصياتها الى حقائق الاتجاهات السياسية والاماني القومية في سورية وكيفتها حسب مقتضى القوانين الدولية والحقوق الانسانية كما انها اشارت الى ضرورة اقامة النظم التي طلبتها اكثرية السكان في سورية، فلم تتورع عن رفض حق ما تطلبه الاكثرية اذا ما تجاوز حدود حقوقها وامكانيتها.

١ – لم تمانع اللجنة بوضع سورية تحت انتداب دولة واحدة او مجموعة من الدول، تحت اشراف جامعة الامم ولكن اشترطت ان يكون انتداباً لا استعماراً، تحدد مدته وينتهي في اقصر وقت ممكن ويستهدف في تنظيمه وتنفيذه صالح الشعب السوري ورقيه، فيتذرع بشتى الوسائل للنهوض بالبلاد علمياً وسياسياً وقومياً، وان يؤمن الحريات السياسية والمدنية والدينية نظرياً وعملياً. ثم حذرت اللجنة السلطة المنتدبة من جر البلاد المنتدب عليها الى الاستدانة او الى الارتباطات والاشتباكات المالية بينها.

٢ – طالبت اللجنة بوحدة البلاد السورية السياسية، الامر الذي رأته يتفق مع وحدتها في اللغة والثقافة والتقاليد والعادات العربية. كذلك اظهرت بالارقام ان عدد السكان واتساع المساحة لا يسمحان باقامة اكثر من دولة. على انها استثنت من الدولة السورية مقاطعة كيليكيا التي رأت انها يجب ان تتبع الاناضول التركي لا البلاد العربية، كما انها اوصت باعطاء لبنان، بحدوده القديمة، وفلسطين، الاراضي المقدسة، استقلالاً ذاتياً ضمن الدولة السورية.

٣ – رأت اللجنة ان تكون سورية كلها تحت انتداب دولة واحدة وان قسمتها بين عدة دول، يتنافى مع صالح السكان كمجموع، ومع صالح فئاتهم المختلفة.

٤ – اقترحت اللجنة ان ينصب الامير فيصل على رأس الدولة السورية الموحدة ويكون ملكاً دستورياً، وذلك بعد ان اظهرت مؤهلاته العديدة، والظروف الخاصة والعامة انه خير المرشحين من وجهة نظر العرب والدول العربية على السواء.

٥ – اصدرت اللجنة حكماً على الصهيونية بنته على تفهم دقيق للحقائق وعلى ضمير حي، فجاءت توصياتها، لو نفذت، ضربة قاضية على احلام الصهيونيين لقد اعترف الدكتور كنغ والسيد كراين ومعاونوهما بانهم جاءوا الى الارض المقدسة ويغلب عليهم العطف على الصهيونية لكنهم وقد ازاح الفهم الغشاء عن عيونهم وابعدت الحقيقة الوهم عن قلوبهم، لم يعد يمكنهم الا المجاهرة بالوقائع والحقائق الآتية:

١ – ان البرامج والاحلام الصهيونية كما فهمها المندوبون من اليهود انفسهم في اوربا وفلسطين، تتعدى ما نص عليه وعد بلفور فهي ترمي الى اقامة دولة يهودية في فلسطين تنتزع من اهل البلاد سلطتهم في وطنهم.

ب – ان وعد بلفور نفسه غير قابل التطبيق لان انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين يتنافى مع حقوق السكان الاصليين

ت – ان اقامة دولة يهودية او وطن قومي لليهود في فلسطين لن يتم الا بقوة السلاح لانه ضد رأي ومصالح ٩٠ بالمئة من سكان فلسطين كما انه ضد رأي الاكثرية في البلدان العربية المجاورة ولم تجتمع اللجنة بموظف فلسطيني يؤكد لها ان اقامة الوطن اليهودي يتم بغير القوة.

ث – ان اهداف الصهيونية ووسائلها لا تتفق ابداً مع المبادىء التي بشر بها الرئيس ولسن ونادى بها الحلفاء.

ولهذا اشارت اللجنة على الصهيونيين ان ينزعوا من رؤوسهم فكرة اقامة دولة يهودية في فلسطين وان يعدلوا مناهجهم تعديلاً سياسياً جوهرياً.

٦ – واخيراً اوصت اللجنة بان توضع سورية بكاملها تحت الانتداب الاميركي وان لم يكن ذلك ممكناً فتحت الانتداب البريطاني. وقد رأت نفسها غير قادرة على ترشيح فرنسا لاي انتداب في الشرق العربي. وفي التقرير عن

العراق ، اقترحت اللجنة ان يعامل العراق كسورية من حيث الوحدة والاستقلال وشكل الحكم بيد انها لم ترشح احداً لعرش العراق ورشحت انكلترا للانتداب عليه .

الخلاصة

لم يرق تقرير لجنة كنغ—كراين لبناة السلم في باريس فطمسوا معالمه واخفوا محتوياته حتى ان الحكومة الاميركية نفسها لم تقف مكتوفة الايدي ازاءه فحسب ، بل انها ايضاً ضمته الى وثائقها السرية ولم يذع على العالم الا بعد ان انتهى الامر ، وصاغت دول اوربا بقيادة انكلترا وفرنسا عقود السلام ومعاهدات الصلح ، ونظمت امور الشرق العربي على هواها وبمقتضى ما اعتقدته في مصلحتها فجرّت على انفسها وعلى البلاد العربية عدداً من الكوارث ، كان العالم في غنى عنها .

هذه هي قصة لجنة كنغ—كراين وهذه هي محتويات تقريرها بشأن العراق وسورية . واليوم ، وقد مضى سبع وعشرون سنة على وضع ذلك التقرير ، لا يصعب علينا ، وقد شهدنا ما تعاقب علينا وعلى العالم من حوادث وكوارث ان نتبين مدى صحة محتوياته ودقتها .

لقد حذرت لجنة كنغ—كراين زعماء الامم القائمين على مقدرات العالم في ذلك الحين من مغبة السياسة التي اوصلتهم الى الحرب الكونية الاولى ورسمت لهم الطرق المثلى لتأمين السلامة في الارض وقطع دابر المنازعات الدولية بتطبيق المبادىء الانسانية السامية التي اعلنها الرئيس ولسن والحلفاء انفسهم ، وتنفيذ العهود والوعود —المطابقة لحقوق الانسان— التي قطعوها على انفسهم للشعوب الكبيرة والصغيرة ، الصديقة والعدوة ، وباجتناب سياسة الاعتداء والقوة والمعاهدات السرية . ولكن « الكبار » في باريس لم يأبهوا بذلك الانذار ومضوا يقررون مصائر الامم دون الالتفات الى اماني تلك الشعوب القومية ، ولم يبدلوا من السياسة الاوربية التقليدية الا مظاهرها واسماءها . فقادوا العالم—نعم قادوا العالم—الى الحرب الكونية الثانية . ما زال التاريخ وسيظل الى امد لا يعرفه غير الله ، يحدث الاجيال عن اولئك القادة الذين وضعوا معاهدات فرساي وسافر وتريانون وسان جرمان ، ونيلي . واعادوا بناء العالم وسيظل الى امد لا يعلمه غير الله اسم هنري كنغ وشارل كراين نكرتين لا يعرف عنهما شيئاً الا الخاصة من اهل العلم . انما مما لا شك فيه ، ان هذا الامد الذي لا يعرفه غير الله سينتهي ويأتي يوم يشير التاريخ فيه الى لويد جورج وكليمنصو واورلندو ومن وراءهم عدد ضخم من المؤسسات والمنظمات والافراد ، بان هؤلاء هم الذين جروا العالم الى حرب ١٩٣٩—١٩٤٦ ناهيك عما احاط بالعالم من ويلات بين الحربين . وعندئذ يسطع اسم كنغ واسم كراين وامثالهما تحيط بهما هالة من المبادىء . والعقائد التي ما زالت تجتذب الانسان لترفعه الى مرتبات اعلى واسمى .

اما فيما يختص بسورية والعراق (والاناضول وارمينية) فتقرير كنغ—كراين ليس الا مجموعة من النبوءات الصادقة . لقد قال التقرير للمؤتمرين في فرساي ان الوحدة السورية الشاملة يجب ان تتحقق اذا ما كانوا يريدون استقرار الحال في الشرق الاوسط واذا ما توخوا حقيقة مصلحة سكان سورية كما حذرهم ان التقسيمات السياسية تجعل من الفروق الاقليمية القليلة الشأن ، اختلافات قومية دولية وتزيد في اتساع الفروق بين الجماعات السورية المختلفة . وكأنما كان هذا ما ارادوه فقطعوا سورية الى دويلات هزيلة اعملت المعول في وحدتها القومية وقضت على امكانياتها الاقتصادية ولم تلبث ان قامت الثورات في سبيل الوحدة واريقت الدماء ، وازهقت الارواح ، ارواح المنتدبين والمنتدب عليهم .

واوصى التقرير باقامة حكومات وطنية دستورية تتمتع بالدرجة القصوى من الاستقلال الذاتي الذي هي اهل له . فضرب كليمنصو والحكومة الفرنسية ولويد جورج والحكومة البريطانية بهذه التوصية عرض الحائط ، وفرضوا الانتداب على الشكل الذي ارادوه —وهو الحكم المباشر . فغاص العراق سنة ١٩٢٠ في الدماء . دماء الانكليز والعراقيين ، وانفقت لندن ملايين الجنيهات . لكن الحال لم تستتب حتى اعان السر برسي كوكس ، تأليف حكومة وطنية مؤقتة تقوم على وضع اسس الاستقلال الداخلي للعراق ولم يسترح الانكليز في العراق حتى سنة ١٩٣٢ اذ تنازلوا عندئذ نظرياً وعملياً عن كل تدخل في شؤون العراق الداخلية . وفي سورية بقي الفرنسيون نحو ربع قرن ، لم يتمكنوا فيه من التخلي عن جيش لجب يرغم السوريين على عدم الانتقاض والثورة .

ولقد قال الدكتور كنغ والسيد كراين للحلفاء ان العرب لا يريدون الفرنسيين كما انه ليس من المصلحة الدولية ان تقوم على الاراضي السورية دولتان منتدبتان . فجاء الفرنسيون على الرغم من ذلك ، ولكن ليخرجوا بعد ربع قرن وقد خسروا حتى ذلك النذر اليسير من

العطف الذي كانوا يتمتعون به عند البعض من سكان سورية. ومن الوجهة الدولية فقد فهم الانكليز عندما تمركزت قوات فيشي في سورية ولبنان ان عليها ان تدفع ثمن نزع شوكتهم من جانبها كيما تؤمن جبهة القتال في الشرق الاوسط، ضد الدول الفاشستية.

وبلغ التقرير القمة في بعد النظر وصحة الرأي كما تجلت فيه اسمى الاعتبارات الانسانية في التحذير من الصهيونية وشجبها. ولقد ذكرنا سابقاً ما اثبته المندوبون الاميركيون في تقريرهم من انهم جاءوا فلسطين وهم يعطفون على الصهيونية، انما درسهم الموضوع في الاراضي المقدسة نفسها، اوصلهم الى نتائج تختلف جد الاختلاف عما كانوا يعتقدون قبل مجيئهم. لقد اعتبرت لجنة كنغ — كراين المشروع الصهيوني الذي لا يقره سوى خمسين الف يهودي، او ما يعادل العشرة بالمئة من سكان فلسطين آنئذٍ عملاً ظالماً لا يتفق مع الحقوق الانسانية، ولا مع القوانين الدولية. وقد بلغ الضمير الحي باللجنة انها في بحث حيثيات طلب الانتداب الاميركي على سورية، اظهرت خوفها من ان تجنح حكومة الولايات المتحدة بضغط اليهود — وهم غير قليلين فيها — الى تأييد الصهيونية.

لا يسعني ولا يسع القارىء الا ان نتساءل الآن، والحكومة الاميركية قد زجت نفسها دون ان يكلفها احد او يعنيها الامر في القضية الفلسطينية، وانتصرت للصهيونية بعد ان شهدت وشهد العالم ما جرته الصهيونية من الويلات والكوارث والآلام على الاراضي المقدسة — لا يسعنا الا ان نتساءل، اين هو ذلك الضمير الاميركي الحي، وكيف تبدل وجه الولايات المتحدة الدولي، وهل تعلم اميركا اي ثمن ادبي سيكلفها هذا الانتصار، ولا يسعنا ايضاً الا ان نذكر — وليس بالخير — لجنة التحقيق الانكليزية — الاميركية، التي جاءتنا في الربيع الماضي، واضاعت الحكومات والهيئات العربية اوقاتاً ثمينة في المثول لديها واعطائها المعلومات الراهنة، والحقائق الثابتة عن القضية الفلسطينية، واذا بها تطلع على العالم بتوصيات ما ابعدها عن المنطق والحق.

من دواعي الالم الشديد، ان يكون هذا التباين الشاسع بين الولايات المتحدة، حكومة وشعباً، سنة ١٩١٩ وبينها سنة ١٩٤٦. لا شك ان العوامل الاولى في نجاح بعثة كنغ — كراين وسمو المبادىء التي املت عليها طرق عملها وبالتالي توصياتها، تعود الى الخلق الشخصي العالي الذي تمتع به المندوبون الاميركيون آنئذ، انما لا شك ان تلك المبادىء وذلك الانعتاق من مؤثرات المصالح القومية الخاصة كانت تتفق مع مبادىء الحكومة الاميركية والمثل التي طلع بها على العالم رئيسها ولسن اثناء الحرب الكونية الاولى وما بعدها. وهذا وجه اميركا اليوم، وقد تبنت الصهيونية وهي من اظلم القضايا ليس في التاريخ الحديث فحسب، بل في التاريخ كله. فاي الوجهين هو وجه اميركا الحقيقي؟

سيظل العرب، ما هزهم الحس القومي، ودعاهم الواجب الوطني يذكرون لجنة كنغ — كراين بالخير والثناء، لا لمصلحة نالوها عن طريقها، ولا لامل تحقق بواسطتها بل لانها عملت بين ظهرانيهم، فتحرت الحقيقة وقالت الصدق، ثم اوصت بما يتفق مع الخلق الانساني الاعلى.

ملحق

لقد

اخر الصديق الكريم الاستاذ البير اديب نشر هذا المقال لاعتبارات سياسية خاصة مع انه يعهدنا من المؤمنين بالقومية العربية الشاملة ومن مؤيدي الاوضاع السياسية الحاضرة في الشرق العربي شرط ان تبقى الاتجاهات في سبيل تدعيم التعاون العربي والاستقلال المطلق لكل الدول العربية.

ولذلك اقتضى وضع هذا الملحق:

(١) ان هذا المقال هو علمي محض من حيث درس تقرير لجنة كنغ — كراين ووضع خلاصته وتأييد ما جاء فيه.

(٢) ان تقرير كنغ — كراين لا ينفي حقيقة القومية العربية بل على العكس يؤيدها وقد جاء فيه ان الرابطة التي تجمع بين سكان سورية هي عناصر القومية العربية ولذا فالدولة السورية المقترح انشاؤها في تقرير كنغ — كراين لا تمثل الحد الاقصى للقومية العربية كما انها لا تستند الى مبدأ قومي خاص.

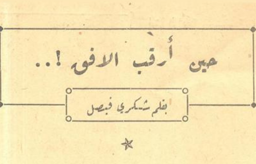
(٣) ان ظروف ذلك الزمن كانت غير ظروف اليوم وما كان بالممكن والنافع في مستهل العقد الثالث من هذا القرن هو غيره الآن.

(٤) لو تم انشاء سورية الكبرى سنة ١٩٢٠ لجاء متمماً لرغبات جميع السكان او اكثرية السكان السوريين ولا عتبرت سورية احدى الدول العربية التي تنشد التعاون فالاتحاد العربي.

(٥) ان دراسة الاوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية في الشرق العربي اليوم تفرض السير في الاتجاهات التي رسمت في جامعة الدول العربية وان كنا نعتقد ان الجهاز لم يزل ضعيفاً وضعيفاً جداً لمواجهة المشاكل والاخطار المشتركة.

وللبيان الحقنا هذه العجالة.

الشويفات — محمود خليل صعب



غداً حين أرقب الافق لن أنظر اليه، كما تعودت، يا فتاتي.. لن يكون متعة خاطري، وألهية ناظري وان يكون نهاية المدى، وخاتمة المطاف.. لن أحدق فيه لاستشف جماله واعي حديثه.. لا، لا، يافتاتي، لن يكون اللوحة التي ترسم عليها الاوهام، وتدير عليها الاحلام، وننثر على جانبيها المنى.. وانما سيكون الافق بداية تطلعنا، سيكون الحاجز الذي نجوزه: أنت من هنا، وأنا من هناك، لنلتقي في ذراه، على عرش من فتنته، وزغردة من بهجته، وموكب من ألوانه الحالمات.

غداً حين أرقب الافق.. لن تستريح عيناي الى انطلاقه الفسيح، والى مداه العريض، والى هذا الجمال الذي يطفح، كالنبع الثر، في كل جنباته.. لن تغريني فيه هذه الزرقة الحالمة لاني اهوى أطراقتك الحالمة حين يصبغك الخجل بجمرته المتوردة.. وكأني حين أحببت الافق منذ كنت طفلاً.. حين كنت اتطلع اليه وارمقه وارنو نحوه، وأدأب في هذا الرنو وهذا الرمق، وأتحسس التحدث اليه كلما عضتني الوحدة، ولفحني اليأس، وابثه الشجون والشؤون والدموع.. لكأني حين كنت افعل ذلك كنت اذرع السنوات: اقطع اليك الطريق حتى عرفتك.. فعرفت ان الافق الجميل انما استعار من وداعتك وداعته، ومن رقتك رقته، ومن جمالك الناعم نعومته الفاتنة.

غداً حين أرقب الافق.. لن انظر اليه، يا فتاتي، من هذا الجبل الحبيب، من «قاسيون».. لن أرى الغوطة، ولن تداعب عيني، العرائس من الحور، ولن تصافح اذني همسات الدفقات المتموجة من «يزيد»، ولن انعم بهذا الهدوء العميق الذي يلف المتأمل في احضان الجبل وذراه القريبة.. لن ارقب الافق كما ترقبينه انت الآن.. وانما سأكون هناك: في الضفة الثانية بعيداً.. بعيداً كالقريب، وسأرنو الى هذا الافق لألمح من خلاله طيفك ولأنسم من عبقه عبيرك، ولأرقب عبره دنياك التي ارجو لها النعيم المقيم.

غداً حين أرقب الافق، يا فتاتي،.. ستنطلق من اعماقي صلاتي الخاشعة.. فاذا ادركك غبش الفجر، او تداخل الليل بالنهار، فدعي عنك اعباءك، وانطلقي منها، واجلسي..

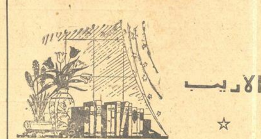
وستسمعين حينذاك، في اعماقك، هذه الصلاة البعيدة التي تتجه الى الله: سيحملها اليك نسيم بليل، وسيلقيها في اذنك، وسيطيب لك ان تسمعي، من طرفي الافق، تساوقاً في الدعاء، وتجاوباً في النداء، وتلاقياً في الضراعة والرجاء... وسيطيب لك اذ تلتقي هاتان النفسان الطاهرتان البريئتان، على ارادة الله، وبراءة الهوى، وعفة الحب.. وستستيقظ في نفسك آنذاك صورة وذكرى: ذكرى محبة اليك، وصورة قريبة منك.. فانطوي عليها في لين، وضميها في رفق، واسألي معي السماء الرعاية والعناية.

غداً لاقرّب الله المسافة من غد.. سأقف وحدي يا فتاتي.. وسأتلفت حولي فلا أجد هذه الذراع التي تعوّدت ان اعتمد عليها في غيبتي وشرودي.. سأفتقد هذه اليد التي كنت أحلم انها تمسح بأناملها جبيني، فتحيل غضونه سماحة، وقطوبه مرحاً، وتجعل من سحب الهم التي ترعها فيه الدنيا اشراقاً وغبطة ورضى.. ولشد ما يؤلمني آنذاك اني وحدي.. فاذا ذكرت انك قريبة مني، انك تلمحيني من وراء هذا الافق البعيد.. فثقي، يا فتاتي، اني لن أشرق بالدمع، ولن أغص بالألم.. سأضحك وأمرح وأغني، لانه يرضيك ان أضحك وأمرح واغني.

غداً سأكون من وراء هذه الافق يا فتاتي.. لن أكتب اليك هذه الرسائل التي يكتبها الناس للناس.. ولكن تعالي احدثك.. تعالي نجعل من هذا الافق صفحتنا، ونصنع منه لوحتنا.. اكتبي فيه كل ما ينازعك من معنى، وما يخامرك من فكرة، وما تجيشين به من حديث.. واقرئي فيه كل ما يملؤني من شوق، وما يثيرني من حب، وما يعصف بي من هوى.. وسترين آنذاك قبساً ساطعاً، ونوراً وضيئاً، وروحاً حلوة.. وسأرى جمالاً مشرقاً ونفساً وادعة، وخفراً ناعماً.. اكتبي، اكتبي فسأقرأ في صفحة الافق فوق ما تكتبين..

غداً حين اكون في الشاطىء الثاني لن ألمحك يا فتاتي.. لن تنفعني المصادفة وانا اعبر الطريق او أرى المركبة او تخطف بصري الحافلة.. ولكني سأرقب الافق، وسأراك

الاديب



☆

— لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها من شهر كانون الثاني (يناير)

— تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا: ١٢ ليرة لبنانية

في الخارج: ١٥٠ قرشاً مصرياً او ٦ دولارات ونصف

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٤ جنيهاً مصرياً او استرلينياً او ٦٠ دولاراً كحد أعلى

☆

— المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

●

— للاعلان يراجع المدير الفني : مختار شملي

●

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

☆

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت — لبنان

ايتها الوادعة . . سأحدق ، وسأثبت عيني على هذا الخط الممتد في عرض السماء . . ثبتي عينيك هنـاك لحظة من كل يوم . في رأد الضحى ، او وهج الظهيرة ، او اغفاءة النهار ، او يقظة الفجر . . لحظة . . وسترين اني قريب منك ، معك والى جانبك . . وستكون هذه اللحظة زادي . . زادي حتى يحين اللقاء يا ذات الزاد الروحي العميق .

غداً حين أرقب الافق . . ستنحدر من عيني دمعتان : صافيتان كماء السماء . . ليستا شكوى ، فقد علمتني يا فتاتي في سلوكك المتأبي العفيف ان الناس لا تنفع عندهم الشكوى ولا يفيد لديهم البث . . وليستا ألماً ، فقد اعجبك مرة اني مجدت الالم حين اردته ان لا يكون دموعاً فحسب . . وليستا ، هاتان الدمعتان ، حنيناً ، فحنيني اليك ثروة ضخمة لا تفي الدموع بالتعبير عنهـا . . ولكنهما دمعتان : عربون اخلاص ووفاء . .

غداً غداً لن أنظر الى الافق كمـا تعودت ان أنظر . . سيكون ، يا فتاتي ، هذا الخيط الذهبي الذي يصل ما بيني وبينك . . في وسعك ان تضحكي له فمن آمالي الضاحكات صغته لك . . في وسعك ان تعتمدي عليه فمن حبات قلبي ضفرته لك في وسعك ان تمدي له يداً ، لانه يدي التي امدها اليك من بعيد أيتها البعيدة القريبة .

غدا سيكون هذا الافق مهوى ابصارنا يا فتـاتي ، . . سنركب اليه زورقاً من احلامنا . . قد يضحك لنا الموج وقد يعبس ، وقد يهدأ وقد يثور ، . . قد تكون الريح رُخاء او اعصاراً . . ولكننا لن نضل الهدف ولن نخطىء المسعى . . ستحف زوارقنـا عناية الله لان يد الله الخيرة التي ابدعتك قد ابدعتها ، وستظلها وسترعاها عينه التي لا تنـام . . فلا تخافي ، يا فتاتي ، هذا البحر الذي يقوم من بيننـا ، ولا تخشي ان تعبث بنا الريح فتخرج بنا عن الطريق الجدد فنحن لا نسير بارادتنا ، ولكنا نسير بارادة الله الخيرة السامية . . ولا نمضي باهوائنـا ، ولكنا نمضي بهذا الهوى المقدس . . ولا نسير كما نشاء ، ففي زوارقنا هذا الدليل الذي لا يخطىء : ان فيها قلبينا . .

يا فتاتي . . ثبتي عينيك مرة ثانية في صفحة الافق لاراك . . ففي روحي ظمأ ، قبل ان اسافر . . فما يكون حالي من بعد؟! . .

دمشق — شكري فيصل



بقلم الدكتور نقولا فياض
عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

منذ القدم، خمسون الفاً من السنين على حساب البعض، ومئة او مئتا الف على حساب البعض الاخر، قضاها الانسان في حال الفطرة، بين اشجار باسقة غريبة الشكل، وحيوانات ضخمة هائلة المنظر وسلاحه الحجر ومأواه الغيران والكهوف.

منذ القدم الى الوقت الذي اخذ فيه الموج البشري يتدفق على الارض ذاهباً يميناً وذاهباً شمالاً قاطعاً الفيافي والوهاد والصحارى المحرقة والثلوج الى العهد الذي ابتدأت فيه اسباب الحضارة تشتد ومظاهر العمران تتسع وتمتد، والعقل الانساني يفيض بانواره مكتشفاً ومخترعاً، الى عصرنا الحاضر، لم يكن الانسان في زمن من الازمان اكثر عبودية مما هو الآن.

لقد تقدم وارتقى علماً وفناً وقوة، وبلغت مدنيته الاوج وآدابه لا تزال في الحضيض. وهذه الظواهر الخلابة التي يرتديها والحرية التي يتيه بها ويتيه فيها ليست الا طلاء مصقولاً كلما عصفت الرياح بدلت الوانه وأفسدت دهانه. وهيكل الاجتماع الذي اقامه بيمينه، وتعهده بدمه وعرق جبينه، وأحاطه بكل ما استطاع من قوة واقتناع لا يلبث ان يتداعى حيناً بعد حين كأنه كتلة من طين.

لا اذكر الحرب الاخيرة وما جرته وتجره من الويلات، وتركت وتترك خلفها من الدمار. فالحرب ليست بنت الحضارة وان استمدت سلاحها منه، بل هي في حياة الاجتماع عرض طارىء، كالبراكين التي تتفجر عنها الارض فتقذف الحمم سيولاً وتحفر الاخاديد وتفتح الاودية وتقض الجبال وتغير شكل البسيطة دون ان تغير في اجزائها. وكما خرج الانسان من الحروب قديماً سيخرج من هذه الحرب قوياً في امله، جديداً في عمله.

لا أذكر الحرب، لان الانسان بها وبدونها لا يزال انساناً، واسباب العبودية عالقة به، دائرة عليه، يمشي في ظلامها وينوء تحت اثقالها في اي بلد اقام وتحت اية سماء استظل.

ذلك لان الانسان الحر بكل معنى الحرية لا وجود له على الارض وقديماً قال الشاعر:

اليأس حر والرجاء عبد

فما دام الانسان معلقاً بالرجاء يدفع به حيث شاء، وله في الحياة مآرب لا بد منها وحاجات لا غنى عنها فمن المستحيل ان يكون حراً.

ولكن وراء هذه العبودية البسيطة في الوانها، الخفيفة في وطأتها، اللازمة له في جهاده، سلسلة واسعة الحلقات ينتقل فيها من شيء الى أسوأ، لان العلائق الاجتماعية وما تتطلبه من المداهنة والرياء واحراق البخور لكل ذي مال او سلطان وحب التشبه والتقليد الذي يخلق فيه اطماعاً لا حد لها، كل هذه تعكر عليه كأس شرابه، وتبعث التوتر في اعصابه، وتسوقه الى الهرم قبل التمتع من شبابه، وكلما ظن نفسه قريباً من السعادة اذا بها كالسراب البعيد يلمع لعينيه ولا يقوى على ارواء شفتيه.

انا لا انكر فائدة الطمع عندما يكون في اوانه فالذي يعيش في الظلمة لا جناح عليه ان طلب النور وحارب من اجله، ومن كان في الحضيض فالواجب يقضي عليه ان يتطلع الى العلاء، وما خلا ذلك فالطمع كالحسد شقاء مموه بالذهب. يحكى ان فيليب المكدوني كان يوماً يشترك في الالعاب الاولمبية فسقط في الصراع مغلوباً على امره فلما نهض ورأى ما تركه جسمه من الأثر على الرمل صاح، ما اصغر المكان الذي سيحتوينا بعد الموت ونحن في الحياة نطمع بأن نحتوي الدنيا.

ومثل الطمع حب التشبه والتقليد وحياتنا العائلية طافحة بالشواهد على ما يتحمل الانسان منها في سبيل الاباطيل من زيارات واعياد وحفلات وولائم وماشاكل. ولا فرق في ذلك بين الرجل والمرأة فقد اصبحت المرأة في الزمن الاخير لا تعرف من واجباتها البيتية غير الامر والنهي بعد ان قسمت عنايتها ووقتها بين السوق

والتزين واللعب فضلاً عما يفعل فيها سلطان اللباس فتراها مكشوفة الصدر والساعدين في القارس من ايام الشتاء مع انها فسيولوجياً لا تحتمل البرد اكثر من الرجل فهي تتعرض لامراض الصدر بسهولة وهذه الامراض كانت قبل الحرب تقتل الالوف من النساء في باريس وحدها كما دلت الاحصاءات الاخيرة . ويقال ان باستور اخذ يوماً فرخة من التي لا تؤثر فيها جراثيم الجمرة وغمسها بالماء البارد حتى انزل حرارة جسمها قليلاً ثم لقحها بالداء فقتلها . والمرأة اذا لم تخلع عنها نير « المودة » التي تعرضها للبرد اصابها ما اصاب فرخة بستور من ضعف المقاومة لان جراثيم الامراض موجودة في كل منا حال الصحة قاعدة لنا بالمرصاد حتى اذا انست غفلة من الجسم عن الدفاع ، — والبرد من اسباب هذه الغفلة — هبت الى الفتك فينا ولات ساعة مناص .

والرجل ! وماذا لا يقال عن الرجل ؟ . فلقد تنازل عن مقامه كزوج وكأب ولم يحفظ من حريته سوى نوم النهار وسهر الليل فيأتي الصيف وهو شاحب اللون منهوك القوى ويعود الشتاء وهو اشد ضعفاً واكثر شحوباً .

ولو ان واحداً من هؤلاء المستعبدين للملاهي وحياة الاسراف والبطر يرجع لحظة الى نفسه ويخلو الى ضميره مراجعاً حساباته ، ناظراً من حيث الصحة في ميزانية يومه او شهره او عامه ، لأفاق مذعوراً امام هذا التبذير في العواطف والقوى وما آل اليه من الوحشة والخراب .

اجل ان حكم التقاليد والعادات لاتقل قيوداً وامتن خناقاً من حكم اتيلا وجنكزخان لانها تملك على الانسان تفكيره وتدبيره ولا تدع له مجالاً للتبصر ولا فرصة للتروي فهو محكوم عليه ان يمشي بلا انقطاع كاليهودي التائه . وكلما اراد الوقوف اهاب به صوت خفي يقول له سر واياك وان تقف ، اذهب من زيارة الى زيارة ومن حفلة الى حفلة ومن سهرة الى سهرة الى ان تموت . وكلما بدا له ان يبدل شيئاً من طريقة معيشته قال له الصوت هيهات فانت ستحيا كسائر الناس وتتكلم وتفكر كسائر الناس او بالاحرى لا تفكر بل تسمع وتعيد عبارات مألوفة وجملاً معروفة حتى تحين الساعة فينتابك الوهن والخمول . لقد قبلت الحياة على هذا الوجه فاحمل صليبك دون تذمر او شكوى او اسف اليوم وغداً وابداً . واذا هاج بك الحنين للبكاء على ما وصلت اليه فاستر وجهك بقناع من السرور الكاذب ، واضغط على فكرك وارسل دمعك الى داخل صدرك .

وهكذا نرى ان اهل اليسار والبسطة في العيش اكثر عبودية من سواهم وهي تعزية كبرى للفقير ، ان كان ثمت تعزية . ولعمري خير للانسان ان يعيش فقيراً من ان يكون كالدمى والتماثيل التي يضعونها بين ايدي الاطفال ، مموهة بالذهب ملبسة بالحرير ، تحرك عيونها حركة واحدة ، في جهة واحدة وتخرج من شفاهها صوتاً واحداً لا تتغير نبرته ولا تتبدل نغمته .

وعندي ان حياة العامل الذي يعيش في الهواء الطلق ويضرب بمعوله الارض تحت اشعة الشمس المحرقة ، وهو يعلم ان وراء هذه الساعات المزعجة مساء لطيفاً يأوي فيه الى بيته الحقير فيستقبله حنان الزوج وقبلات البنين لهي فردوس بالنسبة الى حياة ذلك العامل الآخر الخاضع لسلطان الاندية ومجتمعات الرقص والخلاعة واللهو وما اليها ، الذي يجهل لذة الاستراحة في ظل الشجر ليمسح العرق عن جبينه ويستوعب الهواء ملء رئيته والنور ملء عينيه .

ولا تنتهي عبودية الانسان عند هذه العوامل فهناك داء عضال يزيد استحكاماً في النفس كلما زاد الانسان ارتقاء فيضيف الى قيوده ثقلاً جديداً ، وهو حب الشهرة . عفواً ايها القارىء فليس فينا من لا يحب الشهرة او يسعى اليها . ولكن ما اعظم الفرق بين الشهرة الصحيحة الحق والشهرة الكاذبة ؟ فالاولى لا تكلف صاحبها هواناً وان كلفته عناء بل هي اكليل الغار لكل من سعى فحصل وجد فوجد ، يعقده الرأي العام في كل بلد وامة على جبين المصلحين والمخترعين والابطال والمحسنين ، وما اقل مثل هؤلاء في شرقنا المسكين .

والثانية اي الكاذبة فهي كفقاقيع الصابون ومع ذلك كم يركض وراءها الانسان راجياً شاكياً باكيا ، فهذا يطلب وساماً يفتخر به وينسى ان الذي يعطيه الوسام رجل فان مثله ، وان الوسام لا يرفع قدراً ، ولا يخلد ذكراً ، ولا يلمع له نور الا اذا كان في صدر حامله نور . وذاك يسعى للتصدر في المجالس ويبذل ماء وجهه في سبيل الحصول على دعوة رسمية او الظهور في حفلة عمومية وآخر يمنح هبة مالية او ينظم قصيدة او يؤدي خدمة ما ثم يدور على اصحاب الجرائد مستعطفاً ليذكروا اسمه بالمدح والتبجيل ويعددوا من مآثره الكثير او القليل الى آخر ما هنالك من مظاهر الدعاوة والتدجيل .

هذه هي بعض حالات العبودية التي يرسف المرء في اغلالها ولكن اهم منها كلها وابعدها تأثيراً في حياته هي عبودية الانسان لذاته وساحدثك عنها في المقال الآتي .

نقولا فياض

في سبيل رسالة الاديب

☆



مجلة الاديب ، ذات رسالة قومية عربية ، حملتها الى قرائها طوال خمسة اعوام ، ذاقت خلالها فخر الحرمان الكثير ، في بلد ، يفاخر سائر الاقطار العربية ، بانه حمل لها مشعال المعرفة والنور ، وهو على ذلك ، ينوء بحمل مجلة شهرية ثقافية واحدة !

ولقد قام منشىء الاديب ، في هذا الجو المكفهر البغيض الذي «يودون» ان تعيشه الاديب مادياً ، فضحّى في صمت واطّراد ، وفي جو بعيد عن الضجيج والدعوى والمفاخرة ، بتضحيات مادية تعجز ، بل قل لا تُقبل عليها جماعة ، بله الفرد .

فأمام هذا النضال في سبيل العقيدة القومية العربية ، التي هي لكل منا رسالة مقدسة ، رأت « اسرة الاديب » ان تشرك القراء بواجبهم في حمل بعض العب ، المادي على الاقل ، من اعباء هذه الرسالة ، التي كاد ينوء بحملها منشىء المجلة وحده . فقررت ان تجعل الاشتراك على نوعين : اشتراكاً عادياً ، واشتراك الانصار ونعني بالانصار انصار الرسالة الواعية ، والفهم القومي ، فالاشتراك العادي يحتفظ بقيمته المألوفة . واشتراك الانصار ، ١٢٠ ليرة لبنانية سورية كحد اعلى في سوريا ولبنان . و ١٤ جنيها مصريا او استرلينيا او ٦٠ دولاراً ، كحد اعلى في خارج سوريا ولبنان .

ان « اسرة الاديب » لتأمل ان يجد هذا النداء ، صداه البعيد في نفوس الذين في وسعهم تلبيته ، وهي تطلب من الشباب القومي العربي ، الدعوة اليه ، وذلك لمناصرة مجلتهم التي هي لسان دعوتهم ، لتتمكن من متابعة سيرها . في اداء الرسالة السامية ، هذه الرسالة التي تقف اليوم ، وجهاً لوجه امام تيار يزخر بمختلف النزعات ، تعاضده مختلف الجهات والهيئات والجماعات . و «الاديب» وحدهـا تضطر الى مجابهته بوسائلها هي ، لا بوسائل الغرباء ، و « المستغربين » .

وستظل « الاديب » كالعهد بها ، سليمة لا تنزل الى حقل الحزبيات الشخصية المحلية ، فلا تحمل المباخر لزيد وعمرو في سبيل تأييدهما من زيد أو عمرو ، بل تبقى فوق هذا كله رسالة الجيل العربي الواعي ، رسالة التوجيه في حقل القومية العربية

انها رسالة نظيفة مخلصة ، ستستمر على نضالها في سبيل العقيدة الحرة !

وستظل برغم كل ما تلقى ، تصدر عن هذا البلد — ايضاً — لبنان !

« اسرة الاديب »

الفطرة الفنية

بقلم مصطفى فروخ
استاذ الرسم في جامعة بيروت الاميركية

☆

بمناسبة دخول مجلة الاديب الراقية عامها السادس وهي لا تزال مثابرة بايمان قوي وعزيمة لا تزعزع على نشر رسالتها في دنيا العرب متحملة في سبيل ذلك كل عناء وجهد، شأن كل حامل فكرة من هذا النوع. بهذه المناسبة السعيدة يطيب لي تقديراً لجهاد صاحب الاديب الواعي وانا مثله احمل فكرة غريبة عن هذا الشرق، وبما اننا غريبان ها هنا. لذلك اتقدم اليه بهذه الرسالة:

عندما يطوف الزائر بمتاحف الآثار في ديار الغرب يقع نظره في جملة ما يقع على بعض مخلفات متنوعة من حجر وعظام من تراث الانسان الاول، وقد نقشت عليها رسوم حيوانات واشجار هي بمنتهى الدقة والابداع ويعجب المتأمل فيها لذوق الانسان الاول المتوحش وبراعته.

عندما وقع نظري على بعضها، وتأملت تلك الدقة وقوة الملاحظة المتجلية فيها تساءلت: «أهذا من انتاج الانسان المتوحش؟ ثم عدت بالمقابلة الى درجة الفن عند ابناء هذا الجزء من العالم البشري فحجبت وجهي بيدي ....

يقول العلامه (كيو): «ان الفن هو من الامور الكمالية في الجماعات الانسانية التي لم تبلغ من مراتب الحياة الاجتماعية درجة وسطى، بينما يعد من ضرورات الحياة في الجمعيات الراقية التي اجتازت طور حياة الطعام والشراب، الذي يشترك فيه الانسان ومع احقر الحيوان»

فاذا نحن طبقنا قول (كيو) رجعنا بآية معكوسة اذ نرى ان الانسان الهمجي كان يمارس الفنون بالغريزة موسعاً لها في حياته مكانة محترمة بينا نحن اليوم في هذه البقعة من الارض المباركة نصرح علانية، بان الفن امر ليس ضرورياً وليست له علاقة بحياة الانسان العصري !..

ولكن ما لنا ولهذا الآن، انما الذي اود بحثه، هو ان الفن شيء فطري في الانسان وان جرثومته موجودة في دمه وعروقه لا يستطيع التخلص منها وان اختلفت مظاهره. لننظر الى القبائل

شاغور حمانا بريشة فروخ

المتوحشة اليوم نرى ان الفن باسط سلطانه بينها إن في الوشم البادي على جلودهم اوفي اغانيهم او في رقصهم ومختلف مظاهر حياتهم .

واذا نحن رجعنا الى البحث عنه في حياتنا الحاضرة نرى انه تقنّع بشكل آخر ليظهر رغم اضطهادنا له . فهو بادٍ في لباسنا ، في مسكننا واثاثه ، وفي السيارة التي نركبها ، فاننا نحاول ابداً الركوب في احدثها طرازاً واجملها منظراً ، وعند ما نريد تناول الطعـام نقصد المطعم الذي توفرت فيه الاناقة والترتيب والنظافة ، وهذه كلها من مظاهر الفن المقنع تحت اشكال متباينة تدفعنا اليها الرغبة الملحة الكامنة في نفوسنا .

وبعد ، فقد خلق الانسان مطبوعاً على غريزة الفن ، والمرء الذي يتفنن في عمله اياً كان نوعه يكتب له النجاح ، ولكن الفن الصافي ، الفن السامي قلما نلمس اثره في مجتمعنا البداني بذوقه وتفكيره وهذا النقص لا تقع كل تبعته على الجمهور . اذ يجب ان نكون منصفين ونقول ان الفن ايضـاً هو تربية وتهذيب ومتى تمت لنا هذه التربية الفنية ، فلا بد لنا ان نحبه ونميل اليه لان جرثومته كامنة فينا بحكم الوراثة الانسانية التي على ما اعتقد ننسل نحن منها .

وهذه الرتبة الفنية يجب ان تتوفر لنا في البيت وفي المدرسة وفي المجتمع وفي المتاحف العامة والمعـارض المستمرة وفي الصحـافة وفي الادب نفسه .

ويؤسفنا ان نعلن هنا ان الفن لم ينله من هذا الا القدر النذر . فالفن مهضوم حقه في جميعهـا . فاذا رددنا الآية الكريمة : « ليس بالخبز وحده يحيا الانسان » كنا في ذلك كأننا نشتم انفسنا ، وهذا شيء مخجل لمن يحترم نفسه .

على انني بالرغم من هذا كثير التفاؤل بان الفن لا بد له ان يزدهر يوماً بيننا لاننا من بني الانسان اولاً ، ولان الانسان كما قدمنا مفطور بطبيعته على حب الفن والجمال . لهذا فلا بد ان تستيقظ فينا يوماً ... حاسة الجمال والفن التي نحملها في نفوسنا بحكم الجنس والوراثة ...

واني لارجو ان تقوم بيننا نهضة فنية مخلصة يساهم فيها ارباب الفن والوطنيون على السواء ، تظهر نتائجها الطيبة ، فنقطف ثمارها الشهية لان من كانت تضمه طبيعة رائعة كالتي نعيش بين احضانها ، لا بد ان تترك في نفسه اثراً لحب الجمال والخير والفن ، ذلك الفن الذي هو صورة للجمال وان المستقبل كفيل بان يبرهن على اننا نعيش حقيقة بين هذه الطبيعة اللبنانية الجميلة واننا نتحسسها ونشعر بوجودها واننا كائنون بها وانها تعكس بلا ريب بعض اشعاعها النافذ القوي الى نفوسنا الحساسة الشاعرة ان شاء الله .

مصطفى فروخ



طاحون عين زحلتا
بريشة فروخ



☆

مهداة الى الاستاذ ميشيل عفلق

☆

لبديع حقي

باريس

★

على مضجع الشمس جرحٌ غضوبْ
يلامح نجماً قصياً بعيد
فاماّ تراءى نسينا النحيب
وثرنا على كبرياء الحديد
فيبدو
على الأفقِ لمعُ الأسل
ويحدو
رجانا هتافُ البطل

***

على كل أفق نشرنا جناح
وفي كل أرضٍ غرسنا لواء
وحزنا الدني وافتتحنا الفضاء
وهاجت على الشوق . منا جراح
فيهفو
الى كل ثغر نداء
وتغفو
على كل جفنٍ سماء

***

وان تاه في الغاب رجع الصدى
ذكرنا الأيامى وموتَ الشهيد
ومجداً طليقاً رحيبَ المدى
فرحنا نحطم صلب القيود
فتعلو
على الشهب روح خضيبة
ويحلو
على الثغر لفظ العروبة

معالم الوثنية في رسائل اخوان الصفاء

بقلم جبور عبد النور
مدير الدروس العربية في الكلية العلمانية ببيروت

لم يختلف المؤرخون في امر اختلافهم في حقيقة « اخوان الصفاء »، الجمعية الفلسفية السرية التي شغلت اقلام الباحثين القدماء والمحدثين، ولمّا ينقشع حجابها الى الآن. والبحث الذي يعقده صديقنا الاستاذ جبور عبد النور في هذه الصفحات محاولة جريئة في تبيان المعالم الوثنية البادية في رسائلهم، ولكن يغلب فيها عنصر الفرض الدراسي. أكان «اخوان الصفاء» جزيرة وثنية في بحر الاسلام؟ استتروا بنشر العلم لبث الدعوة للالحاد واحياء وثنية الصابئة؟ هذا ما يحاول الكاتب جلاءه في مبحثه.

☆

انتشار الوثنية

اخوان الصفاء جماعة وثنية لا تدين بالاسلام، ولا تقر به، رغم انها نثرت الآيات القرآنية في جميع فقرات الرسائل، حتى يكاد لا يخلو منها مقطع واحد. نقول جماعة وثنية، ونحن عارفون ما في مثل هذا الحكم من التهور، شاعرون بما هو عليه من المغالاة، مقرون بعجز النصوص التي بين ايدينا عن اثبات ما نفترضه ونتوهمه، ولكن ما توحيه الينا هذه المتون القليلة يلحّ علينا في سوق هذا الافتراض. وذلك ان الشعلة الوثنية لم تكن قد انطفأت آنذاك، بل احتفظت الصابئة الحرانية بدينها الوثني جزيرة مستقلة في بحر من النصرانية والاسلام، كما بيّنّا بجلاء لا يقبل الشك في بحث سابق لنا، عندما عرضنا لاثر الصابئة في العقلية العربية خاصة، والفكر الشرقي عامة [1]. فان الدعوة الالحادية عادت الى البروز في القرن الرابع الهجري، اي قبيل ظهور الرسائل وبعيدها كما ان المتنبئين ظهروا ايضاً للناس قبل ذلك بكثير، ايام الرشيد والمأمون.

كان التنافر عنيفاً في القرن الرابع بين ادعياء النبوة وادعياء المهدية، فيستهوي هؤلاء بنوع خاص الناس، ويحركون فيهم الخيال، ويثيرون في نفوسهم الآمال، ويحافظون على ما في ضمائر العامة من ايمان بالرسالة الاسلامية، لانها تقر بمثل هذه المهدية. وهكذا نجد في القرن الرابع، بين حين وآخر، من يظهر بدعوى النبوة في اقليم من الاقاليم، فيتبعه خلق كثير، ويؤلب الجموع وينادي بمبدأ من المبادىء السياسية والدينية، حتى يصبح خطراً على السلطان، فتوجه اليه الحملات التأديبية للقضاء عليه، وفي اثناء ذلك يخرج آخر في اقليم ثان، وهكذا دواليك [2]...

احمد الكيال

ظهر اخوان الصفاء في مثل هذا الجو المحموم من حيث التخيل والتنبؤ والادعاء، ووقفوا على كل ما سبقهم من الدعوات الالحادية الرامية الى تقويض الدعائم التي تقوم عليها الرسالة الاسلامية. ولعلهم قد درسوا اساليب الجماعات القديمة، وتبينوا ما فيها من نقص وضعف وسعوا جهدهم الى تلافي الوقوع فيما وقع فيه السابقون الفاشلون. وقد عثرنا في رسائلهم على بعض اشارات خفية الى هذه الفئات الملحدة التي تزيّت بثوب الشيعة وهم منها براء، واضمرت الوثنية الفلسفية. منها الكيّالية التي ورد ذكرها في الصفحة الحادية والستين بعد المائة من الجزء الاول. وجماعة الكيّالية هم اتباع احمد بن

---

(١) راجع مجلة « الكتاب »: الصابئة واثرها في الفكر العربي – عدد مايو ١٩٤٦

(٢) راجع آدم متز: الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة ابو ريده، ج٢ ص٦٣–٦٤. وابن الاثير ج ٨ ص ٢١٦.

الكيّال الذي كان يدعو لبعض اهل البيت كما دعا الاخوان ظاهراً فيما بعد. وكان احمد واقفاً على شذرات علمية، فلخصها، ووضع مقالة في كل باب علمي، على قاعدة غير مسموعة ولا معقولة. فلما تبين مذهبه للعلوية، تبرأت منه، ولعنته ونبذته، فانصرف احمد بن الكيّال الى الدعوة لنفسه، وادعى الامامة اولا، ثم زعم انه القائم ثانياً، وبقيت من مقالته تصانيف عربية وفارسية مزخرفة[3]. وقد اشار اخوان الصفاء الى احمد بن الكيّال اشارة عابرة في معرض الذم، ولكننا نجد شبهاً غريباً بينه وبينهم، فهم تظاهروا ايضاً مثله بالدعوة لآل البيت، وربما لواحد منهم كما صنفوا في جميع العلوم، ومزجوا الاجتماع بالسياسة والماورائية وسواها. واستعان احمد في تأليفه باللغتين العربية والفارسية كما فعل اخوان الصفا. في بعض رسائلهم في استشهادهم بنص فارسي لتأييد فكرتهم الى جانب استشهادهم بالعربية.

فصل الملك عن النبوة

تزداد الفكرة الوثنية في عقيدة الاخوان وضوحاً عندما نراهم، وذلك لاول مرة في تصانيف الاسلاميين، يفصلون النبوّة عن الملك، ويخصون صاحب الشريعة بصفات معينة، منها معرفته سياسة النفوس الشريرة، لارشادها واجراء السنة في الدين، وايضاح المنهاج في الملة، وتبيين الحلال والحرام، وتفصيل الحدود والاحكام، ثم التزهيد في الدنيا وذم الراغبين فيها، كما يجعلون من خصال الملك اخذ البيعة على الاتباع المستجيبين، وترتيب الخاص والعام مراتبهم، وجباية الخراج والعشر والجزية من الملة، وتفريق الارزاق على الجند والحاشية، وحفظ الثغور، وقبول الصلح.

اذا اجتمعت الخصال الاولى والثانية في شخص واحد من البشر في وقت واحد من الزمان يكون هو النبي وهو الملك. وقد تكون في شخصين اثنين: احدهما النبي المبعوث الى تلك الامة، وآخر المسلط عليهم. وفي رأيهم ان النبي العربي قد انتقل من عهد الى آخر، فكان في الطور المكي نبياً بدون سلطان، ثم اصبح في الطور المدني نبياً وملكاً.[4]

فهم اذن لا يرون ان الدين والدنيا قد اجتمعا في شخص الخليفة، كما يعتقد سائر المسلمين، بل يسلمون بان هذا الاجتماع هو امر طارىء، بل ربما يعتقدون انه من الامور التي افسدت الحياة على الناس، لفقد الشخصيات الحاكمة، الخصال الضرورية في تصريف امور الدين والدنيا معا.

تفضيل المجوسية على اليهودية

اذا ازددنا تعرفاً الى النصوص نصل الى اشارات تثير في نفوسنا كثيراً من التساؤل، فنتوقف عند بعض المقاطع دهشين، ولا سيما عندما نجد الاخوان يفضلون المجوس على اليهود، في معرض الكلام على اثر التربية في نشؤ الاخلاق وكمالها او نقصها، فيبينون ان الاخلاق تابعة للاعتقاد، ويستشهدون على رأيهم بالرجلين اللذين اصطحبا في بعض الاسفار، وكان احدهما مجوسيا والآخر يهوديا. وخلاصته ان الاول كان راكباً على بغلة وعليها كل ما يحتاج اليه المسافر من الزاد والنفقة، فهو يسير مرفهاً. واليهودي كان ماشياً، وليس معه ما يطعمه او يشربه، فأشفق عليه، وقدّم له من زاده، واركبه مكانه، ومشى معه يتحدثان. فلما تمكن اليهودي من الركوب، وعلم ان المجوسي قد تعب حرك البغلة وسبقه. فاخذ يتضرع اليه في ان يعود لئلا تأكله السباع او يموت جوعاً وعطشاً فلم يرحمه. فلما يئس منه ضرع الى الله ان ينتقم له من خصمه، فاذا بالبغلة ترمي به، فتدق عنقه، وتقف بانتظار صاحبها، فلما لحق المجوسي بدابته ركبها ومضى لسبيله، وترك اليهودي يعالج كرب الموت، وهو يناديه ان يرحمه، الى ان رق له ثانية، فاصطحبه لئلا يموت جوعاً وعطشاً، وذلك لان دينه يعلّمه بالاحسان الى الجميع[5]. وينصرف الاخوان الى تمجيد المجوسية، فيجعلونها من افضل الاديان التي تعلم بالخير وبحسن المعاملة للموافقين والمخالفين، رغم ما كان عليه موقف الجماعة المسلمة من المجوسية التي رمزت الى الوثنية الصريحة في ذلك العهد.

هرمس وفيثاغورس

واسرف الاخوان في ذكر هرمس اله الخير في عقيدة الصابئة فجعلوا منه نبياً من الانبياء، واطلقوا عليه اسم ادريس النبي[6]، ووكلوا اليه مهمة التوفيق بين البشر والجن بعد ان احتال هؤلاء على آدم وحواء، وكانوا سبباً في طردهما من الجنة. كما انهم يشيرون في احدى مقاطعهم الى استقائهم من كتب هرمس بعض ما يذكرون من المعارف[7].

وفي عقيدة الصابئة الوثنية ان هرمس هو

---

(٣) الشهرستاني: الملل والنحل ج٢ ص ١٧

(٤) الرسائل: ج ٤ ص ٣٢-٣٣ (طبعة مصر)

(٥) الرسائل ج ١ ص ٢٣٧

(٦) الرسائل ج٢ ص ١٩٦

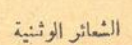
(٧) الرسائل ج ١ ص ٢٢٨

منبع العلوم، ومنبع الدين الذي به يدينون وهو واضع اسماء البروج والكواكب السيارة، رتّبها وبيّن تعديل الكواكب وتقويمها[8].

أكان اخوان الصفاء فرعاً من الصابئة؟

لعلنا ننتهي، اذا تدبرنا النصوص بانعام نظر دون ان نقوّلها ما لا تحتمل من المدلولات، الى نتيجة ترد بالايجاب على هذا التساؤل. وذلك ان الاخوان قد اغرموا بفيثاغورس الحكيم الرياضي المشهور كما هو معروف عنهم، ونسبوا الكثير من علومهم اليه. وقد فطن الى ذلك الامام الغزالي في الفقرة التي خصها بهم في «المنقذ من الضلال». فهم عندما يتكلمون عليه ينكرون نسبه الاغريقي، ويقولون انه من حرّان، اي من منبع الصابئة الوثنية[9]، وذلك بقولهم نصاً «اعلم يا اخي ايّدك الله وايانا بروح منه ان فيثاغورس كان رجلاً حكيماً موحداً من اهل حرّان، وكان شديد العناية بالنظر في علم الاعداد وكيفية نشوئه الخ...». وهذا الانتساب مما يثير الشكوك في نفوسنا.

الشعائر الوثنية



شكنا وترداد حيرتنا عندما نصل الى الرسالة التاسعة من العلوم الناموسية والشرعية، اي الرسالة الخمسين من المجموعة، وقد وضعوها لتقرأ في الجماعة، وخصّوا بها من خلصت نفسه، ووثقوا بعقيدته، واطمأنوا اليه، وختموها بفصل هو منها كما يقولون «بمنزلة القلب من الجسد، والرأس من البدن»[10]، فيرددون ما على العضو من واجبات نحو جسمه ونفسه، الى ان يصلوا به الى انواع العبادات فيقسمونها الى قسمين: شرعي ناموسي، وهو اتباع صاحب الدين والانقياد الى اوامره ونواهيه، ثم الفلسفي الالهي، وهو ما نعبّر عنه بقولنا «العبادة الوثنية».

يراعي الاخوان العبادة الشرعية، ويتقيّدون بأوقاتها، واداء فروضها، ومعرفة تحليلها وتحريمها، لكتم امرهم عن العامة، غير انهم يقومون بالشعائر الوثنية التي نتبين طقوسها بجلاء في عبادة الصابئة، لاعتقادهم انهم «احق الناس بالعبادة الفلسفية، والقيام بها، والاخذ لها، والتجديد لما دثر منها» كما يقولون[11].

ونودّ ان نشير بنوع خاص الى عبارة «التجديد لما دُثر منها»، فانها دليل على محاولة الاخوان الرجوع الى وثنية الاجيال القديمة، والى ما تلاشى من عبادات الصابئة.

وينجلي الافق القاتم امامنا عندما نراهم يتخذون لانفسهم، الى جانب الاعياد الاسلامية العادية التي يشاركون فيها العامة ظاهراً، اعياداً جديدة توافق ما عرفناه عن الديانات الاخرى التي اشتهرت في الشرق والغرب، وهي اربعة ايام يجتمعون فيها ليقوموا بطقوسهم وشعائرهم الخاصة.

الاعياد الفصلية

يوافق اليوم الاول نزول الشمس برج الحمل لمجيء الربيع والخصب والنعمة، ونزول الرحمة وهو عيد فرح وسرور لجميع الاخوان. ويوافق الثاني يوم نزول الشمس اول السرطان في تناهي طول الليل وقصر النهار. ويقع الثالث عند نزول الشمس اول الميزان، واستواء الليل والنهار، ودخول الخريف، وهو يرمز الى مقاومة الباطل الحق، وكون الامر على خلاف ما كان عليه. ويوافق الرابع رجوع الشمس بعد ذهاب الشتاء الى برج الحمل وهو يوم الكآبة والحزن، يرمز الى يوم الرجوع الى الكهف والتقية والاستتار. كما ان لهم صلوات شهرية اقتداء بقدماء اليونان، توزع على ثلاثة ايام: في اوله، ووسطه، وآخره، فيتطهرون ويتبخرون ويعزون الى السيّارات فيدعون لها بالدعاء الافلاطوني، والتوسل الادريسي، والمناجاة الارسطاطالية، ثم يذبحون بأيديهم بعض انواع الحيوان.

يحللون ذبح الحيوانات في الهياكل عند تقديم القرابين لا لأكل لحومها فحسب، بل لتخليص النفوس من دركات جهنم، ونقلها من حال النقص الى حال التام والكمال في الصورة الانسانية[12]. وافضل القرابين عندهم هو القربان الذي يجمع الشروط الشرعية والفلسفية[13]. وينتهون من ذلك الى القول بان الهياكل التي بناها الفلاسفة

(8) الشهرستاني ج ٢ ص ١٢٢
(9) الرسائل: ج ٣ ص ٢٠١
(10) الرسائل: ج ٤ ص ٣٩
(11) الرسائل: ج ٤ ص ٣٠٦
(12) الرسائل: ج ١ ص ١٥٧
(13) الرسائل: ج ٤ ص ٣٠٩



الاستاذ جبور عبد النور

هي شبيهة بالهياكل الموجودة في السماء[١٤] .

خلاصة

افتراضاً اذن هو ان اخوان الصفاء كانوا من الصابئة ، او اي نوع آخر من عَبَدة الكواكب السيارة ، وانهم لا يصرحون في الرسائل العامة بما يضمرونه من عقيدة وثنية ، وانما يشيرون اليه اشارات خفيفة ، لا يمكن تبينها الا باعمال الروية والاستنتاج والمقابلة بين نص وآخر ، والموازنة بين فكرة وفكرة . ولكننا نميل الى القول بنسبهم الحراني لما ابتناه من الصلات الوثيقة بين الجماعتين ، ولما بينهما من القرابة والاخوة . وذلك ان اخوان الصفاء نظروا الى السيارات كما نظر اليها الحرانيون ، واعتقدوا بتأثيرها في عالم الكون والفساد اعتقادهم . فللشمس وزحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد والقمر امزجة وافاعيل نجد لها مشابهات في عقيدة الحرانيين[١٥] . ولعل اخوان الصفاء عندما ينقدون في الجزء الاول من رسائلهم[١٦] المعتقدين بتناسق الكائنات من حيث وجودها على شكل ثنائي او ثلاثي او رباعي او خماسي او سباعي ، ويفضلون الافتراض الثاني ، انما يقصدون بالمجموعة الثانية هرمس علة العلل والسيارات السبع ، ومجموعها ثمانية .

علاقتهم بجابر بن حيّان

لا بد من ملاحظة ما بين رسائل اخوان الصفاء والمباحث التي تنسب الى جابر بن حيّان من تشابه واتفاق فان هذا العالم يكاد يكون شخصية خرافية ، او هو في الواقع شخصية لا وجود لها بالشكل الذي تصوره لنا كتب التراجم ، لانها لا تقوى على تقرير عام لمولده او وفاته بالتقريب . واكثر هؤلاء المترجمين امانة في نقل الاخبار ، نعني ابن النديم في الفهرست يعرّفه بالصوفي والكوفي ، ويشير الى اختلاف الناس في امره . فادعت الشيعة انتسابه اليها ، وانتماءه الى جعفر الصادق الامام السادس ، واعاد الفرس نسبه الى جعفر البرمكي الذي دفعه الى وضع تآليفه الكثيرة . وزعم الفلاسفة انه من جماعتهم ، وانه ذهب مذهبهم ، وقال قولهم ، واتفق جميع هؤلاء على انه كان يتنقل في البلدان ، لا يستقر في مكان خوفاً من السلطان على نفسه . واشتهر بنوع خاص باختباراته في تحويل المعادن الى ذهب .

اذا رجعنا الى مجموعة مصنفاته التي نشرها بول كراوس في مصر عام ١٩٣٥ معتمداً على مخطوطات باريس والقاهرة واستنبول تبينت لنا امور عديدة حرّية بان ننبّه اليها الانظار دون ان نعني بالتحقيق فيها لضيق المجال ولحاجتنا الى النصوص الكاملة التي تسهل مهمتنا في الموازنة والمقابلة .

ان قارئ هذه المجموعة يحس بانه يطالع رسائل اخوان الصفاء ، ويشعر ان الدعوة الوثنية المغلفة بنحلة اسلامية شائعة في كثير من مقاطعها ، ويجد بعض الشبه في الآراء والاقوال والاسلوب . من ذلك الاهمية القصوى التي يخصها بالكواكب والعبادات في الهياكل ، واستعمال البخور والقرابين ، واثر كل سيارة في العالم الارضي فهو يفصل هذه الامور باسهاب يفوق ما نراه في رسائل الاخوان ، ولكنه لا يخرج عن معناه .

ويعتقد اعتقادهم بان العالم هو انسان كبير وان الانسان هو عالم صغير . ويسرف في بعض رسائله في استعمال العبارة الخاصة بالاخوان التي يمهدون بها لفقرات رسائلهم فيقول . « فانظر يا اخي ، واعلم يا اخي » . ويزداد الشبه عندما يوجه بعض مباحثه من كتاب « الخواص الكبير » الى الاخوان فيتبين لنا ، وكأنه يعني جماعة او جمعية معروفة . من ذلك قوله « واياك يا اخي والمخالفة لما قلناه في كتاب « العلم المخزون » ورتبناه لك من الاعمال ان وقع اليك . فان كنت اخانا فنعم ، فامّا ولست اخانا فلا . واياك والعمل بذلك ، فانما تغتر بنفسك ولا تفوز بطائل من ذلك . وعليك بما وقع في خلدك واخذته . فان الذي اخترناه لاخينا لا يكون الا له » ، والى ذلك من الاشارات التي يتوقف عندها المحقق ، ويتساءل عن الحلقة الجامعة الخفية التي تصل جابر بن حيان الشخصية الاسطورية المتنقل من مكان الى آخر هرباً من اصحاب الامر وباخوان الصفاء الذين يضمرون الوثنية . أبين اخوانه واخوان الصفاء قرابة ؟ ايؤلفون جماعتين تدافعان عن فكرة واحدة وتسعيان لغاية واحدة في زمانين متباعدين ؟ ما حقيقة جابر بن حيان ؟ كل هذه الاسئلة لا تمكن الاجابة عليها في الوقت الحاضر بما يطمئن اليه التحقيق العلمي . ولكننا نطرحها على بساط البحث آملين ان يتصدى لها من يجيب عليها اجابة مرضية .

جبور عبد النور

(١٤) الرسائل : ج ٤ ص ٣٠٦
(١٥) الرسائل : ج ٤ ص ٢٦–٢٦٧
(١٦) الرسائل : ص ١٦٠–١٦١

القلوب اسمال عتيقة

☆

بقلم الآنسة سميرة حموي

كانت تعيش في شفتيها القاسيتين وحدهما، في دماء حرّى، أشد مرارة من العيش، عيش الفقراء . . . . ظمأى، يتراءى في كل شبح من اشباحها سراب.

كانت ترتشف من قلبها كما ترتشف الارض من مياهها المتفجرة من اعماق قلبها.

يا لخلايا الألم! كيف تمتص الليالي شفتيها؟ او كيف ترتشف شفتاها أطراف الليالي وحواشي النجوم ؟؟

في ظاهر عينها عطش وجوع ولكن يد السخرية عبثت بعينها، تود ان تحيا، تود ان تهتدي الطريق فيضلها مصباح التقاليد الاعمى في مفارق الطرق العمياء.

قالت في المرآة لشفتها يوماً : ما هو هذا العياء الذي يقبض على صدري ؟ ما هو هذا الحجر الثقيل الذي لا يتزحزح في أعراس الربيع ولا يتحرك في مآتم الخريف؟

قالت لشفتها : ما هي هذه الحروف العتيقة التي ترسلينها في عبث ولهوة؟؟

ما هي هذه التمتمات الغريبة التي تسري الى الآذان الصماء كأنها وتد من أوتاد الليل مغرز في حدود البسيطة الحائرة؟؟

كانوا في الماضي يقولون : ان الشفة هي منبع المعرفة، فيا لها من شفة هي اليوم منبع الضلال.

من الفم تعلم الناس كيف يموهون الحياة فتعلمت صديقتي كيف تشرب الماء آسنا وهي تبتهل الابتهالات البعيدة.

للعصافير مثل الناس شفاه، في رؤوس مناقيرها تموج النغمة وترقص الآكام ويصحو النائمون من حلمهم الضيق، أما صديقتي فقد علمت شفتها كيف يكون النعيّ فتعلم قلبها كيف يكون البكاء.

بلى، قالوا ان لها قلباً نبتت فيه شجرة المحبة يخفق فيه هذا اليمّ الواسع، وهذه الاشرعة المصفقة، والناس، هؤلاء الناس المعذبون الذين جعلوا الصلاة رجع أنات، وجعلوا الغناء رنين تأوه.

ما أشد ضلال قولهم . . . هي امرأة غريبة، ليس لها قلب، تعيش بشفتين قاسيتين، اذا بكت كان دمعها عقدة جديدة في سلسلة حياتها المبهمة . . .

سمعتها تبكي ثم تضحك ثم تقهقه ثم تفتح نافذتها لتطل الى جنينتها صاغية الى الديكة والاوراق تستقبل الصباح كأنه لم يحدث شيء جديد في الحي وكأن هذه اللمحات التي عاشتها عناوين في كتاب هازئ..

هي امرأةٌ شفة هي شفة امرأة

مساكين هم الشعراء،

مساكين هم الفنانون،

فقد حسبوا الدمع ذوب السماء ونسوا انه قطرات من المياه الاسنة تذرفها عين آسنة من ينبوع آسن.

وحراس القبور يعرفون ان العويل خاتمة حكاية الموت ومواراة الجثة.

لن تبكي بعد اليوم صديقتي . . لا خوفاً على مآقي عينيها من الجراح بل خوفاً من ان تقول عيون الناظرين انها تضحك.

أيتها النساء، يا بنات جنسي، يا صديقاتي النساء، عشن بشفاهكن القاسية واحذرن ان تنطقن من نفوسكن فالحروف في رؤوس الاقلام معميات غامضة ابتدعها الفنانون لا للتعبير عما في حقيقتهم بل لتوشية ما في تقاليدهم ولتمويه الاوهام كأنها الحقيقة المجسدة

هنا انتهت الحكاية، فقد دخل الى غرفتها وجه غريب . . وجه امها واختها. هنا الغرابة ان ابعد الناس عن الناس اشدهم قرباً، والشفاه بعيدة جداً عن القلوب والقلوب اسمال قديمة عتيقة كدستها الظلمة على حجارة التماثيل . . .

فاوست فلري

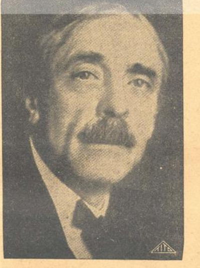
بقلم الدكتور عبد الرحمن بدوي

مدرس الفلسفة بجامعة فؤاد الاول

☆

حديثنا الليلة* ايها السادة ، عن اثر أدبي ظهر في هذا الصيف وكان له حظ موفور من الدوي في الاوساط الفكرية العالمية حتى كان من بين الموضوعات الكبرى في «المقابلات الدولية» التي عقدت في جنيف من الثاني الى الرابع عشر من شهر سبتمبر الماضي ، وشارك فيها نفر من اعلام الفكر الاوربي يكفي ان نذكر من بينهم يسبرز ، الفيلسوف الوجودى الالماني المعروف ، واسبندر عميد الشعراء الانجليز المعاصرين ، وبندا هذا الفرنسي الصلب التفكير ، وكان متوقعاً ان يساهم فيها كذلك كروتشه شيخ الفلاسفة الايطالي المشهور ، واورتيا اى جاسيه ، زعيم الفكر الاسباني الحديث . فان هذا الكتاب ونعني به « فاوستي » لبول فاري قد احتل مكان الصدارة في هذا المؤتمر ، حتى كانت روح صاحبه المتوفى في العام الماضي تشيع في ارجائه وفي جوها عقدت هذه الجلسات الممتعة ، ولا عجب فلقد كان موضوع المؤتمر «الروح الاوربية» فمن كان اكثر من فاري عناية « بتقويم » الروح الاوربية وتشخيص حالها والعمل على تمجيدها والطب لأدوائها ؟ احقاً لقد كان فاري احرى الناس برئاسة مثل هذا المؤتمر ، ولولا وفاته من قبل لتصدره ، ولذا استعاض القوم عن حضرته بشخصه بأن افسحوا المكان لآخر مؤلفاته ، ولعل في هذا تفسيراً لاختيارهم هذا الكتاب : اي ان ذلك كان نوعاً من احياء ذكرى هذا المفكر الكبير الذي شغل خاصة بمشكلة « الروح الاوربية » ، وقد صارت مشكلة حقاً بعد ان اثارها امثال اشبنجلر بعد الحروب العالمية الاولى وصوروا مصيرها بالصورة القاتمة المؤلمة التي نعرفها جميعاً .

ونلاحظ نحن من جانبنا ان السر في شهرة هذا الكتاب لما ان نشر هذه الايام كاملاً بعد ان قد نشر منه من قبل الفصل الثاني في « المجلة الفرنسية الجديدة » ، انما يرجع اولاً الى مكانة صاحبه المرموقة ، وثانياً الى جلالة الموضوع ، خصوصاً وقد طرقه من قبل جيته فأتى فيه بالاثر الرائع الخالد « فاوست » ، فتلهف الناس كيما يروا ماذا فعل اديبنا المفكر المعاصر بشخصية فاوست حتى تجيء ممثلة لنموذج الرجل المعاصر كما كانت «فاوست» جيته خير تعبير عن نموذج الرجل الاوربي في اواخر القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر ، فضلاً عن تعبيره الكامل عن الرجل الاوربي مطلقاً . ويضاف الى هذين العاملين عامل محلي ثالث خاص بالحركة الادبية الفكرية في فرنسا هذه الايام . فنحن نعلم ان التيار السائد في هذه الحركة هو التيار الوجودي ، الذي أثار اصحابه دوياً هائلاً حتى صار يشغل الفرنسي العادى مثلما تشغله اسباب العيش في هذه الآونة العسيرة ، ان لم يكن اكثر جداً ، وبخاصة في اوساط الشباب وصار الناس هناك يتندرون به او يتأثرونه في كل شيء حتى الملبس والمأكل ، كما هو مآل كثير من الآراء التي يولع بها الفرنسيون . والناس يختصمون حوله الى أبعد حد ، حتى انك لترى الرسائل تلو الرسائل في الدفاع عنه او في مهاجمته ، حتى ليمكن ان يقال ان النزعة الوجودية صارت اليوم قضية الرأي العام الفرنسي كله . وفي



بول فلري

* حديث اذيع في ١٦ – ١٢ – ١٩٤٦ من محطة الشرق الادنى للاذاعة العربية .

غبار هذه المعركة أضاء كتاب فلري هذا : فوجد فيه فريق مَلَكاً ينجيهم من لأوائها ويرقى بهم الى آفاق من الوحي العالي ، كما حدث تماماً بالنسبة الى « فاوست » جيته لمّا أن ظهر والمعركة الرومنتيكية حامية الوطيس في المانيا في مستهل القرن الماضي . وفريق آخر شاء ان يُزجّ ، في اتون الخصومة القائمة حول الوجودية فاختصموا حوله كلٌّ يحاول ان يضمّه الى جانبه ويفسّره وفقاً لمذهبه ، حتى ان القوم في الاذاعة الفرنسية العربية قد طرحوا عليَّ سؤالاً عن الصلة بين « فاوست » فلري وبين المذهب الوجودي، بيد اني ما أجبت عنه في ذلك الحين .

الى هذه الاسباب مجتمعة يعود السر في الشهرة المدهشة التي نالها هذا الكتاب ، وأقول « المدهشة » ، لانني دهشت فعلاً منها فما في الكتاب شيء خارق يدعو الى هذه الشهرة كلها . «ففاوست» فلري كان خليقاً ان يتجنب ما أخذه النقاد على « فاوست » جيته من نقائص تتصل بالتركيب الفني لهذه المسرحية . فقد انكروا عليها ما فيها من تفكك في البناء برّره البعض باستطالة الزمن الذي كتبها فيه، فقد نيّف على الثلاثين عاما . وكان حرياً كذلك ان يجعل مضمونه الفكري اكثر خصباً بحكم التطور الفكري الضخم الذي تمّ منذ جيته حتى فلري .

ولكن مسرحية فلري لم تفِ بشيء من هذا كله . فلقد كتبها على نحو مفكك كل التفكيك فيما يتصل بالبناء العام، وإن كانت المناظر المتتابعة في الفصل الواحد لا تخلو من إحكام . ولذا لم يشأ ان يطلق عليها اسم اثر فني تام البناء، بل وضع تحت عنوانها الاصلي ، عنواناً شارحاً فرعياً هو : « دساتير » ، اعني صوراً اجمالية اشبه ما تكون بالخواطر المتناثرة او المسوّدات الاولية لاثر يمكن ان يكمل من بعد . وليس هذا تواضعاً ، بل هو ما حدث فعلاً في تأليفه لهذا الكتاب — ولكتبه كلها لا نكاد نستثني منها شيئا . فهي كلها خواطر ودساتير و « متنوعات » و«قطع» و«امشاج» — كما حدثنا هو في مقدمة هذه المسرحية فقال عن كيفية تحريره لها : « وفي ذات يوم من سنة ١٩٤٠ فاجأت نفسي وهي تتحدث بصوتين اثنين فتركتها على سجيّتها تحرر ما توارد عليَّ ، حتى خططت في لهفة — واصرح معترفا — وبدون تصميم ولا اهتمام بالافعال ولا النسب والابعاد ، هذه الفصول التي اقدمها الآن من مسرحيتين متباينتين كل التباين، ان جاز ان تكونا فعلاً مسرحيتين فقد تمثلت بطريقة غامضة فيما وراء شعوري تصميما لفاوست ثالث يمكن ان يتضمن عدداً غير محدود من الآثار الادبية المتفاوتة في صلاحيتها للمسرح : درامات ، هزليات ، مآس ، تمثيليات عفريتية، بحسب الاحوال: شعراً او نثراً وفقاً للمزاج، وتكون آثاراً متوازية، مستقلة ، ولكنها فيما اعلم لن توجد ابداً . . لكن على هذا النحو تألفت هذه الارباع الثلاثة من « لوست » وهذان الثلثان من « المتوحد » وهي التي جمعتها في هذا الكتاب » (ص ٨) .

وهذا اوضح شاهد على التفكك المشاهد في كل اجزاء هذه القطع المتناثرة التي تكوّن الاثر الذي نتحدث عنه .

اما الناحية الاخرى المتصلة بموضوع هذه المسرحية فلم تكن احسن حظاً بل اسوأ الى حد بعيد . فعلى الرغم من اشارة فلرى في الاستهلال السابق الذي وجهه « الى القارىء الطيب النية السيء الارادة »—وسيكون هذا عنه الاهداء الذي سيضعه فاوست لمذكراته— نقول انه على الرغم من اشارته الى ما طرأ على العالم من تغيرات تغري برد الشخصيتين الرئيسيتين في « فاوست » جيته (وهما فاوست نفسه والشيطان مفستوفيلس) الى الحياة في عصرنا هذا ، فان هاتين الشخصيتين لم تظفرا عند فلرى بشيء من هذه الحياة العصرية ، واخشى ان اقول انهما على العكس من هذا قد دفنا في هذه المسرحية الجديدة .

ذلك ان مسرحية فلرى لم تصدر مباشرة عن الاصول الاولى لاسطورة الدكتور فاوست ، كما فعل جيته في « فاوسته » ، بل جاءت « مسرحية على مسرحية » ، مما جعلها تتسم بطابع التجريد الذي ابعدها عن الحياة المضطربة العرمة التي نشاهدها في«فاوست» جيته او حتى في « فاوست » مارلو . ولا عجب في ان يكون هذا شأن شخصية فاوست مع رجل كفلرى . ذلك لان فلرى يتميز خصوصاً بالادب المجرد ، والمصورات المعتلة القاسية ، والبعد عن المنابع الثرّة للعاطفة والوجدان، وميله الى الرمزية الصوفية الفكرية الجافة يجنح به دائماً الى تحجير الآراء الحية النابضة في قوالب عقلية موغلة في بيداء الفكر المجرد . وهو طابع واضح جداً في اشعاره ، وبخاصة في قصيدة « البارك الشابة » التي اثارت الكثير من المشاكل الادبية لما فيها من ايغال في الرمزية ، حتى وضعت لها شروح من فوق شروح .

ونقول انها « مسرحية على مسرحية » لانها لا تمثل لنا فاوست وهو يضطرب في حومة الحياة وينشد الآفاق المجهولة ماراً بأكبر قدر من التجارب الحية ، كما هو الشأن في فاوست جيته ، وانما تصوره لنا شيخا قد ردّ الى ارذل العمر بدأ يملي « مذكراته » على كاتبته (ولعل العصري في هذا ان الكاتب فتاة وليس فتى،

لحن المساء !..

بقلم صلاح الاسير

ظل همه في كل مساء، ان يفتح نافذته المطلةعلى حديقةضيقةجاورت فيها الخضرة الشوك في رفع كلفة ، حديقة لم تتعهدهـا يده ولا يد سواه بالتنسيق والتجميل ، فاذا فتح النافذة ، بعد ان تنام المدينة التعبى ، احس مع ريح نصف الليل اقبال لحن خفي عليه ، فتأخذه غيبوبة حلوة تجعل انسجامه باللحن المقبل كاملاً لانشاز فيه ، ويظل هذا حاله الى ان ينتهي اللحن والصدى والغيبوبة السخية فيقلب عينيه ساعتئذ على النجوم في الليالي التي لا يكون فيها قمر ، وكان حسبه من لحنه هذا بعد ذلك هدأة مع النجوم في سحرها الباقي ، وبضعة ابيات من الشعر لا يعرف هو نفسه كيف تقبل هكذا عليه اقبال اللحن وتستريح على الورق والمداد دون جهد. كانت حياته على نحو رتيب ، انطلاق مع الشمس في النهار وانطلاق مع النجوم في الليل ، يصل بين الانطلاقين هذا اللحن المسحور الذي تنساب فلذه في مسارب اذنيه رطبة حارة ، يحس معها سعادة قصوى تهز كيانه هذا ، وكان هذا اللحن يمتد ويستطيل ويرتفع ويهبط في تناسق نفسي فاذا اقبل اللحن في المساء اعد نفسه للنجوى واستسلم لهاتيك الامواج اللامنظورة تنقله بشراعها المذهب الى بحار بعيدة لها ضفاف حمراء اللون كالعقيق ، لازوردية كسماء الاصباح، وعلى الضفاف جنيات طوال كأنهن النخيل في الجبروت الوادع وقد ارتدت كل جنية رداء من صدف البحر واتخذت الاصداف اشكالاً من الترصيع الاسطوري ، وتتمايل الجنيات مع اللحن في رقص يرقى الى جو الصلاة ، فاذا انقضى اللحن وتراجع ممسكاً بيد صداه الطفل تلاشت الجنيات وماتت الرؤيا ، لتطلع مع المساء القادم في اطارها المسحور!.

وكان يقص على بعض رفاقه حكاية اللحن والرؤيا فيلقى هزءاً وسخرية ، واخيراً عزم على ان لا يبوح بذلك قط

على عادة اهل هذا العصر !)) ، يمليها على كاتبته الفتاة اللعوب المليئة بالفُراهات الشيطانية (وان فزعت من الشيطان مفستوفيلس !)

وفي هذه « المذكرات » يريد ان يدوّن ملاحظاته وتأملاته ومقالاته الفكرية وآرائه، يدوّنها بطريقة تلقائية بسيطة كما وقعت له بما فيها من مواطن تثير الدهشة في صلته بالاحياء والاشياء .

وحياته هذه التي يسجلها في هذه «المذكرات» ليست حياته الواقعية التي حيّيها وحدها ، بل هي ايضاً حياته « كما هي مختلطة بكل هذه الحيوات التي نسبت اليه (في الآثار الادبية)، وهي حيوات صادقة بقدر ما هي خيالية» (ص٢٤) . انه رجل لا ماضي له وليس ذلك لانه لم تحدث له احداث في زمان انقضى ، بل بالعكس ، لانه حي أكبر الاحداث ، حتى صارت حاضرة لديه في كل آن ، وهو اذاً يحيا في الحاضر الابدي ، «حياة لن تنقضي حتى يكون قد احرق نهائياً كل ما عبده، وعبد كل ما احرقه» (ص٣٣) . وبعد حوار لا يخلو من الفكاهة والتنويع يدخل الشيطان في زي رجل الدين انيق الهندام ، واذناه اذنا كبش «حادتان» يصف لفاوست مساوى. التأمل محاولاً ان يقتاده مرة اخرى الى تجاربه الحية الماضية مع امثال موجريت ، ولكن فاوست كان من النضوب بحيث لا يقوى بعد على تجديد الحياة . ويستمر الحوار بينهما في تثاقل شيئاً ، لان باب الاغراء عند فاوست قد اقفل نهائياً في وجه الشيطان .

وفكرة الحاضر الابدي هذه — وهي فكرة تلعب دوراً خطيراً اليوم في فلسفة لوى لافل ، الفيلسوف الفرنسي المعاصر ، وزميل فلري في مدرسة الكوليج دي فرانس — نراها تتكرر بكل وضوح وتوكيد في الفصل الثاني الذي يعد خير فصول الكتاب كله ، فهو يقول « اني لا ارى نفسي مطلقاً في الماضي . . . وهل للذات ماض ؟ . . . كلا ليس لكلمة الماضي معنى عند الذات . . . لقد حييتُ ثم . . . بالغت في الحياة ! » (ص٧٧) . « انا احيا . ولا افعل شيئاً غير اني احيا وهذا عمل . . . واخيراً فان ما كنته قد انتهى بأن كوّن من انا . ولا اهمية لي غير هذا الأنا الحاضر نفسه» (ص٩٥)

انه يحيا ، يحيا لمجرد حياة وكفى او لا يهمه بعد على اي نحو يحيا .

والى هذا التمجيد للحياة مجردة ، للحياة اياً كانت وكان موضوعها ، يدعونا فلري في « فاوسته » هذا . فهل في وسعنا ان نستجيب الى هذه الدعوة ؟

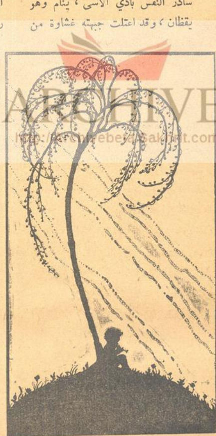
القاهرة — عبد الرحمن بدوي

بعد اليوم ، لم يقل له اللحن في ليلة من الليالي ان لا يتحدث الى كائن من كان بما يسمع ويرى ؟.. لم يقل له اللحن ان لكل كائن نافذة في نفسه اذا صفت نفسه فتحت النافذة عن مثل هذا اللحن وهذه الرؤيا؟ .. ولقد خذل اللحن والرؤيا بحديث عنها غير مرة ، ولكنه في هذه المرة لن يبوح بشي... سيحس بعلوية النجوى وحده فما ينبغي لمن لم تصف نفوسهم ان يبلغوا زخرفاً من الاستمتاع الروحي ممدود الذراعين على ساحل الصفاء ...

ويقول له اللحن ذات مساء ! ان عليه ان يجوس خلال الاشواك ليصل الى الفراديس الموعودة ، وان هذه الرؤيا التي يراها ليست سوى عنوان صغير لمسرحية سعيدة طويلة تتناقلها الجنيات من ازل الآزال الى ابد الآباد ، والمسرحية تضج بالزوارق اللامنظورة التي تحمل الاخيار من الناس الى ارض حفّ بها موعد السعادة اليتيمة ! .

وكان يخط على القرطاس بعد كل لحن ورؤيا بضعة ابيات من الشعر لم يفعل هو سوى تسجيلها تسجيلاً آلياً الى ان تكاثرت الابيات فجلس الى نفسه في صبيحة يوم ، واخذ يقرأ ، ويا لعجب ما قرأ ... قرأ مئات الابيات يصل بينها كلها لحن خفي كأنه لحن المساء الذي يسمعه في كل ليلة ، وكانت الابيات كلها كاللحن نفسه تهبط وتعلو في انسجام عجيب ، واحس بمثل الدوار واخذته الغيبوبة والشمس المشرقة تلسعه بحرارتها اللاهبة وانتقل انتقال الحالم في ليل الى البحار البعيدة حيث الجنيات الحمر الحسان ، ولقد اقبلت عليه كل واحدة منها تطلب نشيدها ، وسرعان ما تقاسمت الجنيات جميع الابيات التي يحمل ، وعاد الى صحوه فوجد نفسه خاواً من الابيات فحزن حزناً عظيماً ، وجعل ينتظر المساء والرؤيا واللحن ، لعل له معها فرجاً وطمأنينة ! ...

ويتزاح الشفق عن السماء ويتزل الليل ظهر الارض بجناحيه ، يلف الارض لفاً بالحنين والوجد ، وتطفر الفضة من مسامير الفلك ، ويفتح صاحبنا النافذة ، ويسمر نفسه على قضبانها الحديدية الباردة في انتظار اللحن والرؤيا ، ويظل كذلك حتى مطلع الفجر ، فلا اللحن اقبل ولا الرؤيا هلّت ، فاحس بقواه تتكدس على نفسها لشهقة قوية ، وتراخى على مقعد قريب سادر النفس بادي الاسى ، ينام وهو يقظان ، وقد اعتلت جبهته غشاوة من



العرق البارد ، واخذته قشعريرة دكناء ، فلما كان الضحى استقوى على نفسه واستعدى على بديهته وحاول الوقوف فوقف ، وجلس الى مكتبه يحاول عبثاً ان يذكر شيئاً من الابيات التي اصبحت من نصيب الجنيات الحمر على الضفاف البعيدة . لم تسعفه الذاكرة ، لقد ذهبت الابيات مع الرؤيا لا الى رجعة ولكن هاتفاً بعيداً تصاعد من الاعماق جعله يتجلد ويأمل ويستريح ..

كان هذا الهاتف يتجسد في وجه فتاة تحاول مثله الوصول الى الفراديس ولكن الاشواك وقفت حاجزاً وعقبة ، ومع ذلك رآها تبتسم على الجرح ، وتضحك في المأساة ، وتنطوي على نفسها في البوح ، وتسل روحها في النظرة ، وتخطو خطى الاطفال الى اللقاء ، وتستعير طرائق الكبار في الفهم ، وتطيع قول قلبها في الحب ، تعطي لصاحبي كل شيء ولا تسأله شيئاً . ورأى على مقلتيها الوسيعتين تلك البحار البعيدة ورأى في كل اساريرها رقص الجنيات الحمر ، وكان صوتها يحمل لحن المساء ، ذلك اللحن الذي عاد مجسماً مع الرؤيا ليحمل البرء الى الجرح ، والطمأنينة الى الروح المتعبة ! ...

ومع الايام كان هذا الهاتف الذي تجسد يحمل الى صاحبي الابيات التي اخذتها الجنيات الحمر ، وتكاثرت الابيات لان اللحن والرؤيا في تجسدهما الجديد حملا اليه ويحملان مع كل ليل ابياتاً تفوق الاولى روعة وجرساً وسحراً .

ويفتح صاحبي النافذة في كل ليلة كالعهد به ، فيتعالى اللحن ، وتطل الرؤيا ، هذه الرؤيا التي لن تغيب عنه ابداً .. وجهها هي ! ...

صلاح الاسير

علـى عتبـة الجــلاء

☆



نحن نجتاز في مطلع هذا العام الميمون مرحلة دقيقة من مراحل تاريخنا ، هي مرحلة الانتقال من « التحرر » الى « الحرية ».

والتحرر معنى عرفناه في النضال ، ذلك النضال الذي عاناه رجال الفكر والمخلصون من هذه الامة لتحطيم الاغلال ، وفك الاصفاد ، والتطلع الى حياة يصح فيها للانسان ان يأمل ، ويفرض عليه الامل فيها ان يعمل ، وكان ان تتوج نضالهم بهذه الحالة الجديدة التي تمر بها بلادنا ، وهي « الجلاء ».

الجلاء نهاية التحرر وبداية الحرية ، وهو في منطق السياسة غيره في منطق الاخلاق فاذا جاز لغيرنا ، او لعدونا ، ان يفهمه على انه اثر من آثار المد والجزر في امواج الحوادث الدولية ، اي رغوة ليس وراءها صفوة ؛ فانه لا يجوز لنا بشكل من الاشكال ان نفهم هذا الفهم ، ولا يصح بصورة من الصور ان نقره !!

ذلك ، لان هذا الفهم السياسي مغلوط خاطىء ، والخطأ فيه انه يغفل النضال الذي قمنا به ، ويضرب صفحاً عن الآلام التي قاسيناها ، ويحيد بنا عن الوجهه الصحيحة التي نتجه فيها ، ليشوش علينا تفكيرنا الجديد ، ويحد من آمالنا الجديدة ، ويعرقل سبيلنا في التقدم ، فلا اقل من ان نساير هذه « النظرة » لمعنى الجلاء عن بلادنا ، ليتحول هذا الجلاء نفسه ، الى معنى آخر من معاني الاحتلال!

فان مسايرة هذه النظرة تعني اننا لا نزال مرضى ، وان العافية النفسية التي تتمثل في الحرية ، ولا تتمثل في التحرر ، ما تزال بعيدة عنا ، وهي تعني ايضاً ان مجال الدس والكيد واثارة العصبيات الطائفية والاقليمية ما يزال مفتوحاً امام كل حاسد وناقم وطامع!!

على ان الخطر الاكبر الذي يهدد نقاهتنا من العبودية ، ويؤذننا بالانتكاس العاجل هو هذه « الروح » التي يمارس بها السياسة بعض رجال السياسة في ديارنا : تلك الروح التي ينطبق عليها النعت حين ننعتها بكلمة « تجارية ».

ان مراس السياسة الداخلية بروح تجارية يؤدي الى افلاس معنوي ذريع ، ويعود بالامة القهقرى ، مهما جهد الافراد في رفع مستواها ، ولا يعود بخير على احد في النهاية ، وان ظهر للانتهازيين والوصوليين من ابناء الشعب ورجال الدولة انه أفضل ما في الواقع ! ذاك مظهر زائف فان الحرية الصحيحة استشراف لواقع افضل ، وتضحية باللذة المؤقتة للحصول على سرور دائم ...

وخير ما يعمله ذوو الشأن في لبنان بعد ان جلا الاجنبي عن ديارهم وديار اهليهم ومواطنيهم هو ان « يعززوا » الفكر واهله ، والفن واهله ، لينصرف الناس عن اوحال المصالح والوظائف والمنافع الى تحقيق حالات من المدنية الروحية هم اليوم في أمس الحاجة اليها ، وابعد ما يكونون عنها في هذه البلاد.

ان صيانة الاستقلال ، وقد تحقق ، لا تتوفر للبنان بواسطة الجيوش ، ولا عن طريق الاساطيل ، ولا بالديبلوماسيات اللبقة الناعمة ، فلبنان صغير بمساحته ، قليل بجنوده ، فقير بموارده ، فاذا امتلأت عقول ابنائه نوراً وامتلأت هممهم نشاطاً واقداماً ، وامتلأت نفوسهم اباء وحرية وكرامة ، توصلوا الى حياة سعيدة رغيدة ، ولا يرضون عنها بديلاً ... ولا يرضون الا ان تكون هي هي بنورها وحريتها وكرامتها .

وهكذا يصون الاستقلال نفسه بنفسه .

صيدا — عبد اللطيف شرارة



الشجرة

بقلم السيدة اميلي فارس ابراهيم

☆

هي الحياة(*) لفقت في جوف الجماد ثم استفاقت تتململ تحركاً في الساكن الصامت، تحركاً مس جميع اجزاء هذا الجامد الجبار . مسها ولكن لا اهتزاز ولا ارتجاج، لا انطلاق في المدى ولا صحبة في المسير ولا تحول في عرض او جوهر، انه الجماد الابدي . . . الا ان الحياة . . ا كانت لتنفطر الا بالحركة والنمو، وهل للحركة في انبعاثها الا ان تقهر الجماد ؟ . . . وهكذا مرت في هذا الكائن المتحجر وشققت فيه منافذ لانبعاث الحياة وتكاملها في تحقيق الحركة فكانت النبتة . . .

وسرعان ما انتشرت الحياة على سطح الجماد بالوانها الزاهية المرحة، معبرة عن غبطة الكائنات امام معجزة الوجود الرائعة . وظلت النبتة هذه تتحول وتتطور، الى ان تكونت في عالمها، على مدى الازمنة، «الشجرة الخضراء» اكمل الكائنات في دنيا النبات .

وسرعان ما انتشر الخضر القاتم، بجلاله المهيب على الهضبات والسفوح، تطل على البطاح والاودية بكسائها الوقور وتنشر على الخليقة عظمة الكائنات التي تجر ورائها مواكب العصور الطوال .

وما زالت الشجرة ترافق الانسان في شتى مراحل وجوده وتحضره منذ ان وعى فكرة الزمن وانشأ تاريخه . . . فالشجرة هي التي امتدت جسوراً تربط بين اجزاء البناء ومن جذوعها اقتطعت اعمدة المحراث، يوم خرج الانسان من عهده القدري الاعمى الى عهد السعي والقدرة، فكان البناء وكان الانتاج وقامت المدن والمدنيات .

وراح الانسان يمرس نشاطه العقلي بمشاكل الخلق والابداع، وراحت الشجرة ترافق ذلك المراس . . فكانت هذه المراكب المنتشرة في البحار تزهو بعظمة الانسان وقدرته على تسخير اقوى عناصر الكون الغافلة لمشيئته المدركة الفاهمة هذه المراكب التي ساهمت من على هذا الشاطىء الهادىء في حمل الفكر الى الدنيا ونشر الحب داعية الى التعاون بين اجزاء العالم جميعها .

والشجرة، هي هذا الخشب الصلب الذي تعمل فيه يد لبقة صناع فتزوج اليه الوتر الجامد، فاذا هو القيثارة تنغم تحت مر انامل ملهمة وفي انغامها حنين رعشة الشجرة يوم هي خضراء في جوار الشلال او بوح استبقته من حفيفها يوم هي ملعب لزفرات النسيم، وما اجمل ما قاله الزهاوي في هذا الصدد :

وتر جامد على خشب صلب ... فمن اين جاء هذا النواح
لغة ليس يفهم العقل منها ... اي شيء، وتفهم الارواح
وكأن الاوتار اذ تتناجى ... السن تشرح الشجون فصاح

ويا ليته اطال بعد في وصف ما ابدعه الانسان من روائع في دنيا الفن الموسيقي من ترويج الوتر الجامد الى الخشب الصلب، اذن لحلق

(*) القي هذا الحديث بمناسبة عيد الشجرة في لبنان

بنا في اجواء الالهام السامية التي ما تزال لها قطعة الخشب الصاب تشد اليها الوتر، المعبر الذي نطل منه على دنياها الجميلة.

والشجرة هي الأسرة يأوي اليها الانسان في ساعات انفلاته من وجبات الجهاد فيطلق لنفسه العنان تستمرىء اعذب طعوم الراحة في الاجواء الخاصة التي هي وقف على الذات الانسانية.

وهي المنضدة ينكب عليها دماغ الانسان في ساعات الابداع الملهمة، فما اكثر ما يطلع على العالم بالتحف الخالدة في تلك الخلوات التي يخلو فيها الانسان الى السكينة وراء نضده للانطلاق في آفاق الفكر الفسيحة.

وهي المائدة تموج حولها رؤوس من تجمعهم الروابط المختلفة في ساعات الغذاء المادي الذي لا يفوته جانب من الغذاء الروحي، وما اجمل ما اسبغ ذلك الاسلوب في عيش الانسان المتحضر من الفة عذبة على تلك الاويقات، الفة سمت بها فتجاوزت كونها اجابة لمجرد حاجة جسدية في الانسان.

وهي الخزائن تضم في جنباتها اعز ما لدى الانسان من نفائس محببة اليه، وما اجمل ما خلقته هذه العادة في الانسان من استعداد نفساني لان يحس بان له كوناً صغيراً خاصاً هو محوره، فاحب هذا الكون وراح يسعى لاضطراد ارتقاء المجتمع البشري الذي يضم هذه الاكوان الصغيرة.

وبعد فالشجرة اشياء كثيرة اخرى لا يضبطها حصر ابدعها الفكر الانساني في شتى مراحل تطور المجتمع البشري فكانت له المادة يسكب عليها ابداعه.

وحسبها انها كانت رفيقة الانسان في جميع مراحل وجوده، فاحبها واحب ان يكثر منها (فغرس الشجرة) وراحت عينه الخلاقة تمر على الجبال الجرداء يهيمن عليها الجمود وتنتشر فوقها الكآبة فاذا هي مكسوة بحلة خضراء جميلة تبعث المرح في النفس وتثير الاعتزاز في الانسان اعتزاز

السيدة اميلي فارس ابراهيم

يثيره فيه كل اثر للنشاط البشري.

وفطن يوماً الى ضبط امائها واخضاعها لارادته فاخذ يحدد الانواع التي يريد وعالج نتاج (الثمرة).

واذا بعامل جديد، هو من مجرد مشيئة الانسان يضاف الى العوامل الخارجية عن دائرة قدرته والمنتشرة في الكون، اذا بهذا العامل الجديد يضاف الى بقية العوامل من اجل غبطة الانسان وتلذذه.

فما الذ الثمرة تنعش الحيوية في الانسان وما اجمل ما تنشره البساتين الزاهية في الربيع والصيف من اشراق ونور وما اهيب ما تموج به من خضر وقور الغابات الغضة في جميع فصول السنة ويا لروعة البلد الذي تكشف فيها تلك البساتين وهذه الغابات.

فمن اجل استرعاء انتباه الانسان الجدي الى منافع الاكثار من الغرس وجب تنظيم حركة تقوم بالدعوة الى تحبيب الشجرة فكانت في فرنسا منذ نيف وعشرين سنة جمعية اصدقاء الشجرة، وتبعتها في لبنان مثل هذه الجمعية وما زلنا نرافق نشاطها ونتتبعه منذ اثنتي عشر سنة معجبين بما تبذله من جهود في هذا السبيل حتى وصلت الى ما وصلت اليه من مكانة مهمة فهي تحتل مركزاً لائقاً بين المؤسسات اللبنانية، وقد توصلت بفضل جهودها الى جعل يوم الشجرة يوماً وطنياً، ثم توفقت هذه السنة الى جعل هذا اليوم اسبوعاً وذلك بفضل جهود رئيسها الحالي الاستاذ بدر دمشقية الذي يعد بحق لولب الحركة فيها بما ينشره حوله من حيوية تتدفق تدفقاً من شخصه النشيط وانبل ما فيه انه مقتنع كل الاقتناع بالمنافع الاكيدة التي تعود على البلاد من النشاط المثمر والذي تبذله جمعية اصدقاء الشجرة في سبيل الدعوة الى الغرس... فالى الامام علنا نرى يوماً جبالنا الجرداء مكسوة بحلة خضراء جميلة.

اميلي فارس ابراهيم

لغتي ...

اخي العلامة عبدالله العلايلي ،

يسائلونني عن سر اندفاعي في الرمزية ، اشعر فيها وانثر ... وكم قلت لهم ان ذاك لم يكن مني الا عن معاناة عميقة للحياة الشعورية ، وبالتالي، عن احساس قوي بضرورة استعمال لغة الرموز ... ثم، كم تبرمت امامهم ايضاً من لغة الرموز ذاتها . . آه! وكم تمنيت لو ان لي لغة خاصة .

وهذه قصيدة تصور شيئاً من حالتي هذه ، ارجو ان تتقبلها مني هدية تقديراً ومحبة واخوة ...

عدنان الذهبي

وددتُ ، لو أنني سوّيتُ لي لغةً ... تضمُّ : ما قد مضى من طول أناتي
تضمُّ : حزنَ لوني قد كان أرّقني ، ... تضمُّ : آهٍ ذروت في بحر آهاتي
فتلك سلواي ، ان أغفى على خلدي ... فيض من الهم ، تجلوه كاساتي
علّي أبينُ بها عما يُعذّبني ، ... او علَّ نفسي بها تُحيي صباباتي
إني وجدتُ قصيدي ، لا يصوّرني ... ولا يُعبّر عما في دُنى ذاتي
فكم شكوت الأسى نشوان مكتئباً ، ... وكم بكيتُ ، وكم أبكيتُ حاناتي
وكم مضى الحزن ، لا الالفاظ تضبطه ، ... ولا يدُ الفنَّ ترجي عنه آياتي
وهذه الكلماتُ الحمرُ أنفثها ، ... فيها بقايا شعورٍ ذاهبٍ آتٍ
فآهِ ، لو أنني أفريتُ لي لغةً ... تُحيي موات دموعي وابتساماتي

***

حسبُ القصائدِ ، أني كنتُ شاعرها ... وأنها قطعةٌ من بعضِ ساعاتي
أواه ، بل حسب نفسي أنني رجلٌ ... أعيش شعري الذي تُرديه أبياتي

القاهرة

عدنان الذهبي

العرب وحضارة البحر المتوسط

بقلم الدكتور نبيه امين فارس

استاذ التاريخ العربي بجامعة بيروت الاميركية

☆

للفرد في مجتمعه صفات رسمية وغير رسمية، وكثيراً ما يصعب عليه ان يفصل بينها، لا لعجز منه بل لاصرار الناس على تغليب واحدة من هذه الصفات على الاخرى. وعلى الرغم من هذه الصعوبة، أود اليوم أن اتخذ صفة واحدة فاتكلم بها. اكلمكم اليوم بصفة مغترب عاد الى أهله فرأى ما رأى ففاض لسانه وقلمه بصريح العبارة والكلام، يدفعه الى ذلك طبيعة فطر عليها ومحبة للوطن الاول قذفها الله في قلبه.

لما يممت وجهي شطر العالم الجديد طلباً للعلم كانت البلاد العربية كلها بأقسامها الطبيعية والمصطنعة في جهاد ضد الاستعمار والمستعمرين وكانت الفكرة السائدة واحدة -- وهي فكرة الاستقلال، وكانت الجهود موحدة في سبيل الاستقلال.

كان ذلك في اوائل العقد الرابع من هذا القرن. ولم تعدم البلاد العربية آنئذ، كما لا تعدم اليوم، فئات تقول بالتعاون مع حكومات الانتداب وفئات تقول بعدم التعاون واخرى تعرج بين الاثنتين. وما لبث ان تفشى في البلاد وباء من الفكر والآراء والمذاهب تجاوزت موقف البلدان العربية من الاستقلال المنشود والطرق التي يجب ان تتبع للوصول اليه، الى تعيين الاصول والغايات وباختلاف الاصل تفرعت الغاية. فرجع البعض الى عنصرية بائدة وحاولوا ان ينتسبوا اليها وينشدوا في نطاقها الجديد غاية غير غايتهم الاولى. وانتسب البعض الى ثقافة وجدوا في خلق الروابط التي تشدّهم اليها وتحول بهم عن ثقافتهم الاولى، والانسان في حاجة دوماً الى كيان ينتمي اليه او ينتسب اليه، فان لم يكن حراً رضي ان يكون ملحقاً او ملصقاً او حليفاً.

وكأني بالبلدان العربية آنئذ كبني آدم في ارض شنعار — كانوا لساناً واحداً ولغة واحدة. فقال بعضهم لبعض « هلمَّ نصنع لانفسنا مدينة وبرجاً رأسه بالسماء. ونصنع لانفسنا اسماً لئلا نتبدد على وجه كل الارض». ولما رأى الرب ذلك قال « هوذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم، وهذا ابتداؤهم بالعمل. والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون ان يعملوه. هلم نتزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض». فبلبل لسانهم فكفوا عن بنيان المدينة والبرج وتبددوا على وجه كل الارض. وصارت شنعار بابل.

وهذا ما حل بالعرب بعد ان كانوا فكراً، لساناً واحداً ولغة واحدة. عزموا ان يشيدوا وحدة للبلدان العربية رأسها بالسماء، وان يصنعوا لانفسهم ثانية، اسماً لئلا يتبددوا على وجه كل الارض. فقال المستعمر « هوذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم، وهذا ابتداؤهم بالعمل هلم نبلبل لسانهم». فرماهم المستعمر بالطائفية والعنصرية والاقليمية واللغة العامية واللغة الممتازة. فكفوا عن بنيان الوحدة وتبددوا على وجه كل الارض.

مرادي اليوم ان اعالج فكرة واحدة من هذه الفكر التي ظهرت فجأة في هذا البلد وقيض لها لاسباب طبيعية ولاسباب مصطنعة بعض النجاح. هذه الفكرة هي ما يسمى حضارة البحر المتوسط، والفئات التي اعتنقت هذه الفكرة تقول ان لبنان واللبنانيين ليسوا من حيث الجنس عرباً بل فينيقيون. اما حضارتهم فحضارة البحر المتوسط وهم لا يمتون للعرب بصلة او قربى، الا باللغة.

ولن اتعرض اليوم للفينيقية بل اكتفي بالاشارة الى ان الفينيقيين على الرغم من تسربهم الى مراكز متفرقة في الداخل استوطنوا الساحل لا الجبال، وكانت الجبال آنئذ مكسوة بالغابات التي كانت مأوى الوحوش ومكامن للصوص. زد على ذلك ان كل محاولة لرفع بناء القوميات على العنصرية والجنس لا محالة فاشلة، لان الاصالة العنصرية اليوم معدومة لا وجود لها حتى بين القبائل

الهمجية في اواسط افريقية. فلم نحاول ان نجدها في بوتقة العناصر والاجناس حيث اختلط الحابل بالنابل وامتزجت دماء الفاتحين والدخلاء بدماء السكان الاصليين مرة بعد الاخرى — بابليون ومصريون واموريون وحثيون واشوريون ومتانيون وكلدانيون وكنعانيون وفينيقيون وعبرانيون وآراميون وانباط وفرس ويونان ورومان وبيزنطيون وعرب واتراك سلاجقة وخليط من الصليبيين اكراد ومماليك واتراك عثمانيون وفرنسيس وارمن وانكليز وبولنديون

ولنرجع الى حضارة البحر المتوسط التي اتخذها البعض مطية للفصل بين قطر وقطر من الاقطار العربية، لان للعرب على زعمهم حضارة اخرى مختلفة.

فهل هناك يا ترى حضارة عربية، وغيرها اوربية واخرى اسلامية الى ما هنالك من الحضارات المزعومة.

ان في العالم ثلاث حضارات رئيسية حية. الحضارة الصينية والحضارة الهندية وحضارة ثالثة ينتمي اليهاما بقي من العالم المتمدن فما هو الاسم الذي يجب ان نطلقه عليها؟

هذه الحضارة مزيج من عناصر مختلفة اختلط بعضها ببعض مرة بعد المرة. ولعل في هذا الاختلاط سر نجاحها وقوتها. ومن هذه العناصر ما هو سومري او بابلي او مصري او ايراني او يوناني او روماني او عربي. فلا يحق لنا اذن ان نطلق عليها اسماً واحداً من هذه العناصر. ولا نقدر ان ندعوها آرية او سامية كما لا نستطيع ان نسميها وثنية او يهودية او نصرانية او اسلامية. فكل هذه صفات مفردة من صفاتها، غير انها ليست كافية اوشاملة.

اما افضل الاسماء التي يمكن ان يطلق على هذه الحضارة فهو حضارة البحر المتوسط، لان حوضه وان لم يكن مهدها كان مكان امتزاجها ونموها. وهذا الاسم شامل ويدل على وحدة جغرافية تاريخية، على الرغم من التقاليد المتبعة التي طغت على هذه الوحدة وقسمت حوض البحر المتوسط الى قارات ثلاث هي افريقية وآسية واوربا. ولست انكر ان لكل من هذه القارات وحدتها المنفردة، غير ان اكمل وحدة هي في هذا الحوض حيث تلتقي كلها.

حدود هذه الوحدة الجغرافية معروفة لا حاجة الى ذكرها. اما صفاتها الطبيعية فهي على الاجمال مشتركة. فهنالك الامطار المبكرة والمتأخرة والمناخ المعتدل والشمس المنعشة والفصول الاربع المتساوية. وكذلك النباتات والاشجار كالتين والزيتون والكرم والعرعر والغار والآس والبلوط والقمح والشعير جميعها مشتركة وموجودة في جميع انحاء الحوض.

ونرى مظاهر هذه الوحدة في اكثر نواحي الحضارة المادية وغير المادية التي نمت وازدهرت في حوض البحر المتوسط. فالطعام واللباس والسكن والادوات والصناعات والزراعة والفنون تظهر عناصر مشتركة وتفوق عدداً واهمية العناصر المختلفة. وما يصدق على الحضارة المادية المحسوسة يصدق على الحضارة غير المادية من اجتماعية وسياسية وفلسفية ودينية. اذ نرى في هذه النواحي من حضارة البحر المتوسط عناصر تعود الى اصول مختلفة ساهم في ابداعها شعوب متعددة ثم تسربت الى الحوض فامتزجت في بوتقته وازدهرت لان البحر كان مقفلاً كما كان متوسطاً محاطاً بعقبات كثيراً ما اضطرت الشعوب الى السكن على الشواطىء. غير ان هذه العقبات لم تكن لتحول تماماً بين المواصلات مع الداخل بل بالعكس استهوت الشعوب التي كانت في الداخل ان يولوا وجوههم شطر الشواطىء من كل صوب وحدب. فكان ذلك باعثاً على تبادل السلع والامتعة وانتشار التجارة ومن ثم انتشار الافكار وتبادلها فالآثار المستخرجة من سوريا (بمعناها الجغرافي) تدل على تبادل التجارة بينها وبين مصر والعراق وجميع انحاء البحر الايجي.

وكما نرى في حوض البحر المتوسط وحدة جغرافية نرى فيه ايضاً وحدة تجارية ووحدة اجتماعية ووحدة فكرية. وقوام الوحدة الفكرية هذه ثلاثة لا رابع لها: الفكر اليوناني، والنظام الروماني والدين السامي. ولكل من هذه عناصر شتى ساهم في ابداعها اقوام مختلفون. فالفكر اليوناني اصول تمتد الى اقريطش ومصر وبابل وفارس، غير ان اليونان هم الذين جمعوا بينها وكيفوها فأوجدوا منها ذلك التراث الفكري المعروف. وفي النظام الروماني آثار بارزة من صنع البطالسة في مصر واخرى من عمل الساسانيين والسوريين. غير ان الرومان هم الذين هيأوا لها الفرصة لتوضع موضع العمل، واوجدوا من تجاريبهم العملية هذه نظاماً امبراطورياً لا يزال النموذج الاعلى في طرق الحكم والتنظيم. وفي الدين السامي عناصر وآثار تعود الى اصول هندية وفارسية ومصرية غير ان الساميين صهروها بحرارة ارواحهم فنقوا منها الدغل فانجلت الخرافات والاساطير عن دين حي فعال بعث في قلب الانسانية الرجاء والامل وكشف له عن الحقيقة حتى رأى اليقين بعين اليقين.

اجتمع تحت لواء هذه الحضارة في اوائل الالف الثانية قبل الميلاد جل تراث مصر وبابل، وحمله الايجيون وخلفاؤهم في اقريطش. فاحتكروا تجارة الحوض والبحر الى ان قام لمنافستهم فيها وانتزاعها منهم شعب سامي خرج اجداده من الجزيرة العربية

قبل ذلك التاريخ بنحو الف سنة ، واستوطنوا الطرف الغربي من الهلال الخصيب . ونزلت قبيلة منهم في السواحل السورية وشغفت بحب البحر فنبغ منها الفينيقيون . وهم الذين انتزعوا تجارة البحر المتوسط من ايدي الايجيين ، وتمت لهم السيطرة حوالي القرن الثاني عشر قبل الميلاد . واصبح البحر وحوضه بفضلهم قاعدة عظيمة لنشر التجارة والفكر . وللفينيقيين الفضل في استنباط الحروف الهجائية من نماذج مصرية ونشرها فاخذها عنهم اليونان والآراميون وغيرهم . وكان لهذه الحروف اثر اعظم من جميع الاعمال العقلية التي ابتكرها العقل البشري والانظمة التي سنها والحروب التي أثارها .

واذ كانت الحياة في حوض البحر المتوسط برمائية في أساسها كانت الملاحة في مياهه والسيطرة على مراكز التجارة في سواحله مطمح انظار الشعوب والوسيلة العظمى لنشر الافكار ولما نازع اليونان الفينيقيين السيطرة على الملاحة والتجارة في المتوسط نازعوهم في حمل لواء الحضارة . واستلم اليونان في اوائل القرن الخامس قبل الميلاد لواء تلك الحضارة بعد ان مضى على بدئها نحو من الفي سنة بقيت في خلالها مزيجاً من عناصر شرقية وعناصر غربية . وكانت كفة العناصر الشرقية في اكثر الاحيان الغالبة . ويظهر ذلك جلياً من فحص اي فرع من فروع الثقافة اليونانية في ذلك القرن — اي القرن الخامس قبل الميلاد — ولا سيما العلوم الطبيعية التي تعوب عن تغلغل العناصر البابلية والمصرية الى صميمها .

وكان الفرس قد وحّدوا الشرق الادنى (ما عدا الجزيرة) ومصر وطمعوا بالاستيلاء على ملاحة البحر المتوسط وتجارته فتصدى لهم اليونان واستعرت نار الحرب بينهم . واستعان الفرس في حملاتهم الحربية بقوة الفينيقيين البحرية كما استعانوا باساطيلهم التجارية في ايام السلم . فكانت تلك الحروب من هذا القبيل ، استئنافاً للتنافس اليوناني الفينيقي على ملاحة البحر المتوسط وتجارته . وكان من جراء هذه الحرب ان دخل الفرس مجرى حضارة البحر المتوسط وتأثروا بها وفي الوقت نفسه أفرغوا جعبتهم الثقافية فيها وتركوا اثرهم في بعض نواحيها . وامتزجت الى حد حضارة الفريقين المادية وغير المادية .

ثم قام الاسكندر فنشر سلطانه في الغرب والشرق ورفع لواء الثقافة الهلينية فامتدت حضارة البحر المتوسط حتى اواسط آسيا والهند . وفي مجراها شرقاً تعاظمت بما دخلها من ثقافات البلدان التي اكتسحها الفاتح المقدوني . وهنالك حقيقة يجب ان نبقيها نصب اعيننا في نظرنا الى الحضارات . فالحضارة أشبه بنهر يبتدىء عند مخرجه من الجبال ضعيفاً وتتزايد مياهه وتتعاظم بمياه الجداول التي تنصب في مجراه . ومن الخطأ ان نحسبها واحات مبعثرة على وجه صحراء لا اتصال بين واحدة واخرى منها .

وقام البطالسة والسلوقيون بعد الاسكندر يحملون لواء الجمع بين تراث الغرب والشرق وبقوا حتى العهد الروماني ينقلون من عناصر الحضارة الشرقية الى الغرب ومن عناصر الحضارة الغربية الى الشرق حتى تم مزيجها . ولا يغربن عن البال ان ما اقتبسه الغرب من الشرق آنئذ كان اوفى وأغزر مما اقتبسه الشرق منه في تلك الفترة نفسها .

وما أوشك القرن الثاني قبل الميلاد ان ينتهي الا وحضارة البحر المتوسط قد اخذت شكلاً واضحاً محسوساً . وما كانت تفتقر اليه من توحيد واستقرار جاءها لما تناول لواءها الرومان أولاً والكنيسة المسيحية ثانياً . فقد وجدت هذه الحضارة في الامبراطورية الرومانية خير وسيلة لتعزيز مركزها ، ولما تداعت هذه بعد قرون قامت الكنيسة باعباء التبعة خير قيام .

التقى الشرق والغرب في ظل الامبراطورية الرومانية واجتمعتا في نظام سياسي واحد رجحت فيه المثل الشرقية . وظهرت آثار البطالسة والساسانيين والسوريين في دستور الامبراطورية كما ظهرت في ديانتها وفي حياة البلاط وفي التقاليد الرسمية والالقاب . وكان الشرق يسيطر على الغرب في كل شيء حتى الدين ولا سيما عندما اعترف الامبراطور ديوقليتيانس بميثراس الهاً وأقره حامياً .

وشاهدت القرون الثلاثة الاولى بعد الميلاد ازدياداً عظيماً في انتشار السلع والادوات الشرقية في اوروبا وكثر فيها عدد التجار والمهاجرين الشرقيين الذين القوا فيها عصا الترحال فحملوا معهم العوائد والافكار الشرقية فعمّت وانتشرت . وكان للسوريين نصيب وافر في تلك الحركة حتى قيل (وذلك قبيل منتصف القرن الثاني للميلاد) ان العاصي يصب في التيبر .

وتلا الرومان في حمل لواء حضارة البحر المتوسط البيزنطيون ولنا ان نحسبهم روماناً مستشرقين . وانتقل معهم مركز الثقل في تلك الحضارة الى القسطنطينية — اي الى الشرق . وانتقلت زعامة العلم والفلسفة الى رجالات شرقيين من مصريين وسوريين وفلسطينيين واردنيين وآخرين من آسيا الصغرى والعراق . واحتكر الشرق مراكز العلم والفكر الرئيسية فاصبحت القسطنطينية والاسكندرية وانطاكية ودمشق قبلة العلماء والمفكرين . زد على ذلك ما كان للبلاد المقدسة من أثر في تحويل انظار الامبراطورية المتنصرة الى الشرق .

فطوال هذه القرون من اوائل الالف الثانية قبل الميلاد حتى القرن السادس بعده وهذه الحضارة التي نطلق عليها اسم البحر المتوسط نتيجة جهود شرقية وغربية امتزجت عناصرها وتداولت في حمل لوائها دول وشعوب لا تخضع لتصنيف هو في اساسه نسبي. فما نحسبه شرقاً في هذه الشواطىء هو الغرب في نظر العراق، وما نحسبه غرباً هو شرق في نظر اهل تونس.

وفي القرن السابع دخل العرب — عرب الشمال — معترك التاريخ. وكانت فاتحة اعمالهم ان قضوا على امبراطورية الفرس وزعزعوا اركان الامبراطورية البيزنطية فجردوها من أغنى ولاياتها وما لبثوا ان نازعوا الروم ومن بقي من الرومان على ملاحة البحر المتوسط وتجارته وانتزعوها منهم. ولم يقض العرب في ذلك على وحدة البحر المتوسط الاقتصادية والثقافية كما يزعم بيرن، بل عززوها لان البحر المتوسط اصبح بحراً عربياً وبقي كذلك من القرن الثامن الى الحادي عشر. ونشر العرب ما ورثوه عن الفرس وما اقتبسوه من البيزنطيين والاقباط وما اخذوه عن النصارى واليهود وصابئة حران الوثنيين في جميع انحاء الحوض — حوض البحر المتوسط — وبكلمة اخرى حمل العرب لواء حضارة البحر المتوسط كما تسلموها وزادوا عليها ونشروها في انحاء امبراطوريتهم من الاندلس غرباً الى حدود الصين، ومن بحر الخزر شمالاً الى مصب النيل.

استولى العرب على ملاحة البحر المتوسط وجعلوا البحر بحراً عربياً غير أن حضارته استولت عليهم فدخلوا في مجراها وصبوا فيه ما كانوا قد استقوه من مياه الثقافات الاخرى. فتعاظم النهر وارتفعت مياهه بعد ان كادت تنضب. ورفع العرب للحضارة المشتركة هذه ابراجاً في حواضر الحوض — حوض البحر المتوسط — في بغداد ودمشق والقاهرة والاسكندرية وتونس، وفي مدن الاندلس الرئيسية — طليطلة وقرطبة واشبيلية، وفي صقلية وجنوب ايطاليا، فاصبحت هذه قواعد لنشر عناصرها المادية وغير المادية.

فالدور الذي قام به العرب تجاه هذه الحضارة هو هو الدور الذي قام به قبلهم من سبقهم من شعوب البحر المتوسط كالايجيين والفينيقيين واليونان والرومان — استولوا على ملاحة البحر المتوسط وتجارته ومن ثم حملوا لواء حضارته وساهموا في توسيعها والزيادة عليها وهبوا لنشرها في ارجاء سلطانهم. وعندي ان العرب لم يدخلوا في التاريخ العالمي الا عندما خرجوا من الصحراء، ودخلوا في حوض البحر المتوسط وساروا في مجرى حضارته.

فمنطق الحقائق هذه يدفعنا الى الاقرار بأن العرب جزء لا يتجزأ من حضارة البحر المتوسط وجزء لا يستهان به في تكوينها وبقائها. ولا نصلح ولن تصلح مطية لفصل العرب عن باقي الشعوب الغربية من حيث الثقافة والحضارة، كما لا تصلح لفصل قطر من الاقطار العربية عن سواه. ولا يحاول هذا إلا من ألمّ به حول فكري.

كيف نشأت اذاً هذه الفكرة ومتى. وما هي الاسباب التي أدت الى ظهورها وتفشيها؟

لم تظهر هذه الفكرة علانية الا بعد الثورة السورية (١٩٢٥—١٩٢٧) حين أخذت تتسرب الى بعض الاوساط حديثاً للموائد. وبقيت مقتصرة على ذلك الى سنوات. غير ان بدءها يعود الى ما بعد الحرب العالمية الاولى في اثناء انعقاد مؤتمر الصلح في فرساي. ولعل البعض منكم يذكر ادوار تلك المهزلة لا بل تلك المأساة، فقد سبق لبريطانيا وفرنسا ان وضعتا بالاتفاق مع روسيا تصميماً لاقتسام البلدان العربية المنسلخة عن الامبراطورية العثمانية، ودعي هذا التصميم باسم عرابيه الرئيسيين فعرف باتفاق سايكس — بيكو. غير ان الامور لم تجر حسب رغائب رجال السياسة فحات الضغينة محل الاتفاق بين الحليفتين. ثم كان من انعقاد موتمر سان ريمو وطالبت فرنسا بالانتداب على سوريا ولبنان. وسرعان ما نالته حتى اخذت تسلك في سوريا سياسة وفي لبنان سياسة اخرى. وكانت ترمي من سياستها اللبنانية تعزيزما حسبته حصن التعاون فكان لبنان الكبير. وكان بين ليلة وضحاها اربعة سناجق مستقلة في ضمن البقعة التي نعمت بشهر من العسل قصير تحت ادارة فيصل العربية. غير ان الخوف من اتحاد كلمة البلاد على الرغم من هذا الامعان في التقسيم حدا الدولة المنتدبة ان توجد اساساً امتن لوجودها وبقائها.

وظهرت في الوقت نفسه الفكرة الفرعونية في مصر ولعل اصولها ترجع الى ما بعد اغتيال بطرس غالي، وبقيت فكرة يتعاطاها الكتاب كتعاطي الخمر الى ان حل محلها الاستقلال شراباً للمدمنين. وفي اوائل العقد الرابع من هذا القرن ارتفع صوت موسوليني في رومة ينادي بالمتوسط Mare nostrum واوجد في ظل دكتوتاريته جمعية لرفع لواء حضارته. فاوحت هذه الفكرة الى الفرنسيس فكرة الفينيقية ومن ثم فكرة حضارة البحر المتوسط التي اوجدت دعامة لتسند جدران الفينيقية الضعيف الاركان. فقام عمال الدولة المنتدبة الفكريون بايعاز منها لنسج لباس لهذه الفكرة حتى تستر به معايب جسمها. ومن المسلم به ان اللباس

يغدق على الجسم رونقاً خلاباً اكثر من العراء ولم يكمل هذا اللباس الا في منتصف العقد الرابع من هذا القرن عندما عرضت الفكرة متلفعة به في كتاب تاريخي موجز.

هكذا زرعت اضراس التنين ، وهكذا كانت بداءة هذه الفكرة. اما ما لاقته من نجاح محدود لدى بعض الفئات فيعود الى حول فكري صعب الشفاء. فقد ترى هذه الفئات خطأ ان للعرب اليوم قبلتين—الصحراء والشرق قبلة ؛ والمتوسط والغرب قبلة. وتخشى هذه الفئات ان يولي العرب وجوههم شطر الصحراء. وحقيقة الامر ان العرب لم يولوا وجوههم شطر الصحراء البتة ، وجميع الدلائل تشير الى انهم لن يفعلوا ذلك في المستقبل القريب او البعيد. ومذ خرج العرب من الصحراء قبل ثلاثة عشر قرناً ووجوههم مصوبة نحو الغرب لا الشرق. ولم يكن للصحراء اثر محسوس في ثقافتهم وحضارتهم ، مذ نقل علي بن ابي طالب عاصمة ملكه الى الكوفة. ولما اكتسحوا الهلال الخصيب ومصر وورثوا ثقافتها دخلوا في التاريخ العالمي ودخلوا حوض البحر المتوسط وساروا في مجرى حضارته.

لا فرق اساسياً اذاً بين حضارة العرب وغيرهم من شعوب حضارة البحر المتوسط. ولا فرق اساسياً بين قطر وقطر من الاقطار العربية من هذا القبيل. جل ما هنالك فروق اقليمية وتفاوت عارض لا تمت الى الجوهر بصلة. وكل عارض زائل.

اما رسالة العالم العربي تجاه هذه الحضارة التي كانت ولا تزال وسيلته المثلى للتعبير عن آماله وأمانيه وفكره وروحه فهي قيامه بفضل مركزه الجغرافي الفريد بمهمة الوسيط بينها وبين الحضارات الاسيوية الهرمة. فيحمل الى الشرق فتوة الغرب وعلمه ويكشف للغرب عن حكمة الشرق وروحه. ولا تنحصر هذه المهمة بقطر عربي دون سواه على الرغم من ان لبنان كان البادىء في تحملها ولا يزال في مقدمة الاقطار العربية مجداً في تأديتها. غير ان ذلك لا يبرر موقف الذين يحاولون عبثاً اتخاذ هذه الحضارة وقيام لبنان بتأدية رسالته تجاهها مطية للفصل بينه وبين اخوته واخوانه في العروبة. والاخوة غير الجوار مهما كان حسناً.

اما نتيجة هذه المحاولات فلم تلاق نجاحاً كاملاً كما لم تفشل كل الفشل ، بل نجحت في غايتها الاولى فبلبلت لسان الشعب حتى كاد لا يسمع بعضهم لسان بعض. غير انها لم تنجح ولن تنجح في القضاء على هدفنا الاوحد في بناء وحدة للبلدان العربية رأسها بالسماء. وفي عزم العرب ان يصنعوا لانفسهم ثانية امماً لئلا يتبددوا على وجه كل الارض.

واذ فشل اصحاب هذه المحاولات في مهمتهم الهدامة عادوا الى العمل يدفعهم حقد الهزيمة وخبرة الميدان الى جهود جديدة جبارة في سبيل الوصول الى غايتهم. وانصرفوا بعد ان ادركوا عقم الهجوم المباشر الى اساليب الطابور الخامس. فقالوا ان البلاد تدين بفكرتين هما الديمقراطية والثيوقراطية. وقالوا بالطابع الخاص واخذوا حديثاً يلفعون هذه الفكر الانعزالية. بجلباب العلم والادب في سلسلة من المحاضرات ترمي الى تعزيز الاتجاه الذي توخاه تاريخ لبنان الموجز. وعندي ان صح ان للبنان طابعاً خاصاً فهو السير في طليعة البلدان العربية في حمل لواء النهضة العربية الحديثة من اوائل القرن التاسع عشر حتى يومنا هذا. اما مسألة الثيوقراطية فهراء مصطنع لان العرب قد قطعوا تلك المرحلة في تاريخ تطورهم السياسي منذ قرن وبعض القرن ؛ ولا نعثر على بقاياها الا في الجزيرة—تلك الجزيرة التي فقدت اثرها في تعيين اتجاه العرب السياسي يوم خرج علي بن ابي طالب الى الكوفة. وما الجزيرة اليوم من باقي الاقطار العربية الا كالبلاد الاسبانية من العالم اللاتيني. كلتاهما تحتفظ بتلك العروة المتقطعة بين الدين والدولة غير ان اثرهما محصور ضمن حدودهما ولا يتعدى تلك الحدود الى الخارج. وبالعكس فأثر العوامل العالمية في تعيين اتجاهها ظاهر وهما تسيران على الرغم من جميع العناصر الرجعية الى فصل الدين عن الدولة. وعندي ان اثارة هذه المسألة مسألة الثيوقراطية رجعية في اتجاهها ونتائجها، اذ تعيد بناء حواجز متهدمة كان الاولى ان تمحى آثارها وتدفع الى غياهب النسيان.

وجوهر العروبة التي ندعو اليها تقدمي. وهي ما برحت تسير الى الامام. وشأن كل حركة تقدمية تتقدم حيناً وتتأخر حيناً آخر غير انها تعود الى السعي فتعوض عما خسرته يوم تقهقرت وتزيد الى ان تصل غايتها المنشودة. وهي علاوة على صفتها الاساسية التقدمية واسعة الصدر كبيرة النفس ؛ ما فتئت تفسح المجال لمساهمة جميع ابنائها في رفع صرح مجدها على اختلاف مللهم ونحلهم.

فسيروا بها على بركة الله الى المراعي الخضر ، واوردوها الى مياه الراحة ، وردوا لها نفسها واهدوها الى طريق البر. وللعروبة في ذلك اليوم كما كان لها في الماضي آفاق بعيدة تجوبها وافلاك واسعة تحلق فيها كما حلقت فيها من قبل واضاءت بنورها طرق الانسان وبددت ظلمات الارض وكانت هدى للعالمين.

نبيه امين فارس

الناعورة !

☆

ايها الفلك الدوّار ، ايتهـا النفس الحائرة ،
إلامَ هذا الانين والنواح ؟ أفي القلب ندوب وجراح ؟!
ياعجوزاً على الزمن ،وياغادة على الغدير ،
أما آن لدمعك ان يغيض ، ولقلبك ان يذوب ؟!
ستقولين : لا . . . .
للدمع ينابيع وللقلب بساتين ،
هكذا ، كل ما في العالم جزء متمم للكل ،
وكل ما طوته الدهور حلقات متصلة بحلقات ،
فاذا ما تلبدت السماء بالغيوم ،
وعصفت الرياح وزمجرت الرعود ،
وسرى وهج البرق في الآفاق ،
أمسكت قلبك باصابعك أيتها الناعورة
وبكيت على النفوس المعذبة ،
لكن أين من الناس تلك النفوس ؟!
عفواً . . هل أحد يسأل عن الحجر الاصم ؟
وهل تتذوق الافعى طعم السم ؟
ان العالم ممقوت بانسانه ،
ومعشوق بنباته وجماده . . . !!

***

لعب بك الزمن ، فاحنى اضلاعك ودق فيك الف مسمار ،
فلو درت دورة الكواكب والشموس
وجففت بجفونك الغدران والبحور ،
لما سألك مخلوق عن حالك ،
فالدنيا لا تعرف الرحمة ،
ارضها تدور حول لهيب السماء ،
والثرى كفن اللآلىء والبدور ،
وبنى الدود اعشاشه فوق هامات الملوك ،
وانت ، أيتها الناعورة ، دوري ونوحي
كما يدور الكون وينوح ،
لعل صداك تسمعه آذان الاغبياء ،
ففي العالم جهل وغباوة ،
وفي الانسان خبث مقيت . . !!

***

كنت بالامس دوحة فارعة الاغصان وارفة الظلال ،
توحين الى الشعراء اشجان العشاق ، حتى
اذا ما حان الحنين ، واهتزت الجذور ،
وقع على عنقك الفأس والمنشار ،
واحالتك يد الاقدار ناعورة ،
ولكن تعرف المسميات باوصافها واصواتها ،
والجميل جميل في كل قالب ولباس ،
كما ان القبيح قبيح في كل لون وطلاء ،
هذه صفوة الحقائق في الوجود ،
ولكل شيء لفظ من معناه . . . !!

***

عندما تستريحين في السنة مرة واحدة ،
يقف قلبك العظيم وتنغلق عيونك الدامعة ،
ويدب السقام في الحنايا ،
فينقلب الروض صحراء قاحلة ،
واعراس الطيور الى مآتم وجنازات ،
وكل شيء حولك يهتف : دوري دوري ، واعطي ثديك للرضيع !
ومن منا غير ممسك بثدي في دنياه ؟؟
نحن اطفال نرضع ثدي الحياة ،
ونحن امهات ترضع أثداءنا الحياة ،
هذا هوا الكون ونظامه . . .
ففي الارض سواق وانهار وبحور ،
وعليها افلاك ونواعير تدور . . . !!

حماة   عبد الرحمن عباش

حيرة ويقين

☆

اهتي فالظل وارف ندي
اما انا فان نضرة الظل
لم تنتقل الي بعد .
كلما ذكرتك
ترنحت بين اضلعي حسرة
كأنها اللحن الكئيب .
ان صورتك الحائرة
المتقلبة بين ثنايا المجهول
قد افقدتني قدرة النظر الى الاشياء .
بلى ! انني ألمح سراباً
انتصبت فيه الظلال
وبدت على اديمه صورتك الحائرة

***

الآن أيقنت ان قلبي خلو من الحب
وان تلك الرؤى الذهبية
قد ولت بعيداً عني .
لقد كنتِ كاعباً ملء برديك الحياة
وكانت روحك الطروب
ملاذ قلبي المعنّى .
أما اليوم فقد أحالك الزمن
كائناً لا يعي وجوده
فما الذي استبقيته من ربيع حياتك ؟
ذكرى حب كئيبة
تشيع الحياة قسراً
فيما استقوى منك على الدهر .

رشيد شفير

الشعر في معرض العقل

بقلم حنا نمر

استاذ الادب العربي في كلية الثلاثة الاقمار وكلية الفرير

☆

لا شك في ان العنوان سخيف والا فأي عمل للعقل في ميدان الشعر الا ان يهبط به من سماء الخيال واجواء الفن الى حمأة القياس ووهدة المنطق.

قال لي بعض من احترم رأيه: «دعك من العقل في الشعر فهو مفسدة له» وجاء في تحديد الشعر في كتاب الادب تأليف الاستاذ بطرس البستاني «الشعر هو الكلام الموزون المقفى ويغلب فيه الخيال المطلق على التفكير الصحيح» وربما كان كثير ممن يحترم الناس آراءهم من انصار صديقي وانصار الخيال المطلق على التفكير الصحيح ولكنني على رغمي ورغمهم ما زلت اعجب برأي احد قدماء اليونان الذي وصف الشاعر فقال: انه رجل يركب مركبة تسبح فيه بين الغيوم يجرها جوادان هما الخيال والشعور ويسوقها رجل حكيم هو العقل، فاذا فقد السائق الحكيم عقله او ضعف حكمه جمح الخيال فتدهورت المركبة الى الحضيض وتحطم الشاعر أما السائق فينجو لأن عمر المجانين والمجاذيب طويل.

أنا لا انكر ان للفن اجواء لا يرتقي اليهـا العقل، وللشعر حرمات لا يطأ اسكفتها المنطق ولكن الفن اذا خرج عن دائرة العقل اصبح سخافة والشعر اذا لم يرتبط الى المنطق بصلة امسى هذراً

ولو أعملنا مبضع العقل في كثير من شعرنا لاستطعنا ان نطرح الفاسد منه فيظهر للملأ جماله، ويبين للنقاد فنه، ولو حكمنا المنطق في الشعر العربي منذ ألف وخمسمائة سنة الى اليوم، لرأينا ان الشعراء الذين جمح بهم الخيال عن زمام العقل فتدهوروا كثر يملؤون البر حتى يضيق عنهم، وتملأ عرباتهم المحطمة البحر حتى تقضي على حرب الغواصات قال عمرو بن كلثوم:

ملأنا البر حتى ضاق عنا ... وماء البحر نملأه سفينا

وليس لهذا الشاعر عذر في باب المنطق الا ان يكون بره اضيق من ساحة الشهداء وبحره اصغر من مرفأ بيروت، او انه كان منقاداً لطبعه الجاهلي الفطري، وسليقته البدوية الساذجة

والشعراء الذين يجمح بهم الخيال عن المنطق كثر، لا يخلو منهم عصر ومكان حتى في عصرنا الحاضر عصر العلم والفلسفة والحكمة، والمفروض في شعرنا ان يكون معقولاً لأننا قد شببنا عن الطوق ولأننا — على ما يرى الكثر — أعقل من اجدادنا وافهم قال شوقي رحمه الله من قصيدة يهنئ بها عبد الحميد لنجاته من قنبلة القيت عليه:

هنيئاً أمير المؤمنين فانما ... نجاتك للدين الحنيف نجاة

واذا كانت نجاة عبد الحميد نجاة للدين الحنيف — اعوذ بالله — فالمنطق — لعن الله المنطق — يستنتج ان هلاكه هلاك للدين الحنيف ولكن عبد الحميد هلك وهلك قبله كثر، وسيهلك بعده اكثر، والدين الحنيف صامد[1] لا يهلك ولن يهلك، وقال شوقي نفسه في السلطان محمد رشاد الخامس:

هز اللواء بعزك الاسلام ... وعنت لقائم سيفك الأيام

وخيال الشاعر في هذا البيت مجيد، والصورة رائعة بديعة، ولكن حكم المنطق ضعيف، وزمام العقل مرخى، وقد جمح الخيال فتدهور.

ولو شاء العقل، — أعوذ بالله من العقل في الشعر — ان يضع محمد رشاد تحت مبضع تفكيره لرأى في سيفه قصبة نخرة، وفي عزه ذلّاً له — لا للدين — ومهما انتحل أبناء الفن للشاعر من أعذار

(١) انتقد بعض أعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق وبعض الأدباء استعمال يصمد بهذا المعنى، ولكن القاموس يذكر من معاني الصمد الضرب ومن معاني الصمد بفتح الميم الرجل لا يعطش ولا يجوع في الحرب:

فلا سبيل الى قبولها الا اذا تجردنا عن المنطق ، وخرجنا عن دائرة التفكير الصحيح .

وقال بشارة الخوري حفظه الله في رثاء شوقي :

قف في ربى الخلد واهتف باسم شاعره
فسدرة المنتهى أدنى منابره

وسدرة المنتهى شجرة تظلل عرش الله فاذا كانت أدنى منابر شوقي فأين يضع الشاعر أعلى منابر زميله ، بل أين يضع العرش ؟ أعوذ بالله من الفن المحلق و الخيال الجامح ،

وقال الشاعر نفسه في ذكرى المتنبي في حلب :

نفيت عنك النهى والظرف والادبا وان خلقت لها ان لم تزر حلبا

ولا أكتم القارىء انني لم أزر حلب ، وان اكثر الذين قرأوا هذا البيت ويقرؤونه لم يزوروا حلب ، وان الملك فاروقاً مثلاً ، والمستر تشرشل ، والملك جورج ، وترومان وبرنز وستالين الخ الخ لم يزوروا حلب ولم يزر حلب من رجال النهى و الظرف والادب غير الذي يحمل الهويتين معاً – السورية واللبنانية – صديق العرب المستر سبيرس ، اما زيارات الاحلام ورؤى الخيال و المنام فمن غير ابحاث العقل و المنطق ، ولا ادري رأي الفرنجة في مثل هذه الابيات اذا ترجمت الى لغاتهم وربما كان من الخير لشعرنا الا يترجم :

وفي الشعر العربي – و الأعجمي والفرنجي أيضاً – كثير من هذه الاخيلة الجامحة ربما تناولناها بمقال أو مقالات ، اما الآن فننتقل الى بحث آخر نضع فيه فهم الشعر لا الشعر نفسه تحت مبضع المنطق والتفكير ، ونحصر الكلام في ناحية واحدة هي ناحية ما يروى عن الشعراء من حوادث و أقاصيص ، وقد شك بعض الأدباء في تلك القصص والحوادث ، ولا شك ان فيها مجالاً واسعاً للشك و البحث .

وهذه الناحية وحدها متسعة أرجاؤها ، كثيرة وهادها وشعابها وليس في قدرتنا الآن – عز من جلت قدرته عن الأفهام – الا البحث في بضعة امثلة من تلك القصص التي يخبر الشعراء بها انفسهم عن انفسهم ، وقد تكون تلك القصص من نتاج الخيال الجامح حيناً والمتئد حيناً ، وقد تكون الحكاية مبتدعة كما يكون الرسم مخترعاً ، والحكم في ذلك للمنطق و العقل ، ولو كرهنا حكمها ورأى بعضنا السخف في تحكيمها :

ومن تلك الأقاصيص قصة امرىء القيس في زيارة حبيبته فقد سما اليها ليلاً فحدثها وحدثته ثم خرجا الى حيث كان ما كان مما لست اذكره لان الشاعر نفسه لم يذكره ، افكان حقاً ما ذكره الشاعر ، ام كانت الحادثة من نتاج المخيلة المبتدعة ، والفن المخترع قال الشاعر الجاهلي :

تجاوزت أحراساً اليها ومعشراً علي حراصاً لو يسرون مقتلي
خرجت بها أمشي تجر وراءنا على أثرينا ذيل مرط مرحل
فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن خبت ذي حقاف عقنقل

وفي هذه القصة مجال للتفكير و النقد المنطقي ، وبعض العقلاء يغضون النظر عن تجاوز الشاعر الحراس والمعشر ، ولكنهم يتساءلون كيف خرجت الحبيبة معه دون ان يدري حراسها ؟

وبعض العقل يعرف ان الثوب لا يمكنه ان يعفي على آثار رجل وامرأة يمشيان مسرعين خائفين فاما ان يكون الحبيبان قد عميا عن رؤية آثارهما – لا أعماهما الله – وذلك جائز ، واما الا تكون هنالك حبيبة محروسة ولا زيارة محسوسة وذلك جائز ايضاً ، واما ان يكون خيال الشاعر قد اخترع وابتدع وجمح وهذا ايضاً جائز فليختر القارىء ما يحلو له :

ويرى بعض دارسي شعر امرىء القيس وناقديه ان حبيبته ابنة قيصر الروم ولكن قصر قيصر الروم لا تحيط به بطون الرمال المشرفة المعوجة ، وبلاد العرب لم يكن فيها تلك القصور الشاهقة تحيط بها الكثبان ، ولا اولئك الاحراس و المعشر ، وانا لنعجب من مفكرينا ان يؤمنوا بان الروايات العصرية مبتدعة ، وبأن ما يقرأونه [1] من القصص المؤلفة مخترع ثم يؤمنون بقصص شعراء الجاهلية على ما فيها من نوافذ مكشوفة للنقد و الشك ، او ليس الخيال اولى بالابتداع في الشعر منه في النثر ؟

وهنالك من يؤمن بأن امرأ القيس نظر الى ابنة عمه وصاحباتها عاريات مقبلات وعاريات مدبرات وهنالك من يكفر بذلك اللهم اجعلنا من المؤمنين .

ويقولون ان عمر بن ابي ربيعه – استغفر الله – بل هو يقول انه زار حبيبته ليلاً وكان بينهما ما كان مما ذكره في رائيته واضحاً مفصلاً ولكن ذلك الشاعر الكذاب البريء ، والمخترع المظلوم يقسم لأخيه ساعة احتضاره انه لم يفعل شيئاً مما ذكره في شعره وهو اولى بالتصديق في تلك الساعة الرهيبة منه في ساعة الابتداع والتحليق في خيال الفن ، ولكن عدداً كبيراً من الادباء وابناء الفن ممن يكرهون ان يكون للتفكير الصحيح بحث في الفن ، وللمنطق علاقة بالشعر وفهمه ، ما يزالون يرون ان عمر بن ابي ربيعه كان فاسقاً زانياً متهالكاً على اللذة تستعبده الشهوة وتستغويه المرأة ولم لا ؟ ألم يزر حبيبته ليلاً وهي متزوجة ؟ ألم يقض ليلته على فراشها وهي ذات

(١) اذا اتصل المهموز آخره بالضمير فكأنه لم يتصل – ابن هشام

حليل حتى اذا انبلج الفجر التجأ الفاسقان الى اختيها فسهلتا لهما طريق الشر، ومهدتا له سبيل النجاة ؟— رواية خيالية جميلة قال :

فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت   مصابيح شبت في العشاء وأنور
وغاب قمير كنت أرجو غيوبه   وروح رعيان ونوم سمر

وتصغير القمر يدل على شدة الظلام والظلام استر للفجور، واولى بالزنى والفسق، ولا شك في ان عمر قد قضى تلك الليلة الظلماء تحيط به السدول والستائر لا يرى ولا ينظر بل يجس ويلمس، ولكنه في شعره رأى فما، وشاهد نظراتها، ونعم بضياء عينيها، وسحر لفتاتها قال :

ويا لك من ملهى هناك ومجلس   لنا لم يكدره علينا مكدر
يمج ذكي المسك منه مفلج   رقيق الحواشي ذو غروب موشر
تراه اذا تفتر عنه كأنه   حصا برد او أقحوان منور
وترنو بعينيها اليّ كما رنا   الى ربرب وسط الخميلة جوذر

واذا خرجنا عن دائرة المنطق المشؤومة، وثرنا على البحث العقلي الملعون، والتفكير الصحيح المنحوس فقلنا ان الشاعر يصف ما رآه في نهاره، او انه يرى بعين خياله ما نراه بعين جسدنا، افما كان الاولى به ان يصف معا وصف ما يلمس قبل ان يصف ما ينظر او معه على الاقل؟ او ما كان الاجدر به لو كان الخيال واقعاً ان يتغزل بنعومة بشرتها وبضاضتها قبل بياضها، وان يبدع في بيان لذة مقبلها قبل ان يخوض في وصف حمرة شفتيها، وان يشعر بعذوبة رضابها قبل بياض اسنانها؟!

انه لم يفعل شيئاً من ذلك بل وصف ما يرى لا ما يلمس فكأنه لم يزرها ولم يقض ليلته على فراشها، ولم يكن ذلك الفاجر الفاسق، بل كان شاعراً فنياً يبتدع القصص كما يبتدع الصور والرسوم، ويخترع الحوادث كما يخترع كتابنا القصص والروايات، والشعر فن وابتداع قبل ان يكون حقيقة وواقعاً :

وربما كان ابن ابي ربيعة من عبيد الشعر لا من عبيد الشهوة وربما كان من رجال الفن لا من رجال المرأة، ونحن نرى ان المرأة كانت عنده جمالاً لا لذة، وفناً لا شهوة، ومعيناً للنبوغ لا سبيلاً الى الاغواء، ونحن على مثل اليقين من اننا لو عرضنا لهذا الشاعر القرشي امرأة جميلة وبجانبها تمثال اجمل منها لانصرف عن المرأة الى التمثال، وعن التلذذ بالشهوة الجنسية الى التمتع بالجمال فهو عشيقه لا عشيقها، وهو مولع به لا بها قال :

اني امرؤ مولع بالحسن أتبعه   لا حظ لي فيه الا لذة النظر

وبمثل هذه اللذة يتنعم الشعراء، وبمثل هذا الحسن كان الشعر فناً، وبمثل هذا الابتداع كان الشعراء فوق الناس — أعوذ بالله — بل دون الناس كذابين منافقين يقولون ما لا يفعلون :

واذا استطاع امرؤ القيس ان يخدعنا بجميل صوره، وعمر بعذوبة حديثه وحواره فنصدقهما ونرى القول فيما قالا وحدثا، فان هنالك زميلاً لهما لم يرزق من الفن التصويري ما رزق الشاعر الجاهلي، ولا من الدهاء في الحديث ما عرف عن الشاعر القرشي ولكن كثيراً من الادباء ما يزال يعتقد ان الفرزدق ايضاً كان فاسقاً زانياً، ونحن — علم الله — لا ندافع عن هذا الرجل فربما كان كما وصفوه او فوق ما وصفوه، وربما كانت الاقاصيص التي ينسجونها حوله صحيحة واقعة، ولكننا اذا أعملنا مبضع العقل فيما يرويه عن نفسه رأيناه كذاباً وكذاباً مقلداً، فهو لم يزر حبيبته المتزوجة ليلاً، ولم تصعده حبالها اليها ولم يتدهور من عندها كما ينحط البازي الخ الخ .

ولسنا نستوحي في رأينا هذا غير شعره، ولا نستند في تكذيب قوله الا الى قوله قال :

فمازلت حتى اصعدتني حبالها   اليها وليلي قد تخامص آخره

وامرأة تصعد رجلاً كالفرزدق اليها بالحبال اهل لمنازلة الابطال ومقارعة الرجال لا لحب الشعراء، وخليقة بقرع السيوف بين الفرسان لا بقرع الثغور ورشف اللعاب، وجدير بالفرزدق — مع غلاظته — ان يكون امامها سيدة لطيفة نحيفة تبهره ولا يبهرها، وحسناء هيفاء رشيقة تضمه ولا يضمها وتسعى اليه ولا يسعى اليها،

ويقضي الفرزدق ليلته عند حبيبته الجارة العنيدة حتى تتسلل خيوط النور الى سدول الظلام فيخاف وتخاف وتلتجىء الى اختها فتدليانه بالحبال فينقض كالبازي الكاسر

فقلت اقعدا ان القيام مزلة   وشدا معاً بالحبل اني مخاصره

ويتدلى الشاعر بين الارض والسماء لا ينجيه من الهلاك غير ذلك الحبل الذي لم يترك في يدي الحبيبة المتنعمة المترفة ساكنة القصور الشاهقة جرحاً او خدجاً او أثراً قال :

اذا قلت قد نلت البلاط تذبذبت   حبالي في نيف مخوف مخاصره
فلما استوت رجلاي في الارض قالتا   أحي يرجى ام قتيل نحاذره
فقلت ارفعا الاسباب لا يشعروا بنا   ووليت في أعجاز ليل ابادره
هما دلتاني من ثمانين قامة   كما انقض باز أقتم الريش كاسره

والغريب ان يكون بين الادباء من يعتقد صحة هذه القصة، ويصدق هذه الرواية، ويؤمن بقامات الفرزدق الثمانين، وثمانون قامة تزيد على مائة وعشرين متراً، فأي شيطان وسوس للشاعر بها، ولو قلنا ان قصر حبيبته كان في ذروة جبل، وان حبلها طويل فكيف يستطيع الانسان ان يسمع الهمس على مسافة ثمانين قامة وهل يجرؤ الشاعر الخائف والحبيبة المشفقة على النفخ بالابواق، اما الهاتف والراديو فلم يكونا من بضاعة تلك الايام، واذا سلمنا للشعراء

بالغلو فلا نستطيع ان نسلم لهم بالجنون وثماني قامات او خمس غلو اما الثانون فخيال جامح وجنون واضح ، ولكن هنالك شراً من الجنون ، وهو تصديق المجانين – تبارك الله رب العالمين .

ومن الادباء من يرى ان النابغة أحب المتجردة حباً فاسقاً ، ووصفها وصفاً خرج به عن حدود اللياقة والادب،وهم يستندون هذه المرة الى المنطق، ويلتجئون الى احكام القياس، فلولا انه رأى منها ما وصف ما استطاع ان يرمي صائباً .

اما نحن فقد قرأنا قصيدة النابغة، وقلّبنا وصفه للمتجردة فلم نرَ في القصيدة شيئاً خاصاً بزوج النعمان ، ولم نعثر على صفة تتفرد بها امرأة دون اخرى، وكل شاعر فني يستطيع ان يصف كل امرأة جميلة بما وصف النابغة المتجردة به دون ان يسمي انسانة بذاتها قال :

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه ... فتناولته واتقتنا باليد
بمخضب رخص كأن بنانه ... عنم يكاد من اللطافة يعقد
نظرت اليك بحاجة لم تقضها ... نظر السقيم الى وجوه العود
زعم الهمام بأن فاها بارد ... عذب اذا قبلته قلت ازدد
محطوطة المتنين غير مفاضة ... نفخ الحقيبة بضة المتجرد

وفي هذه الابيات وغيرها مما لم نذكره اوصاف جميلة اجادبها الشاعر ، ورسوم فنية احسن تصويرها ، ولكننا لا نجد في قصيدة النابغة كلها مهما فتشنا وحكمنا الذوق والعقل معاً عاطفة عاشق ملتاع او شعور محب هاني. او وله متيم عاشق ، فكأن النابغة في قصيدته هذه شاعر لا عاشق ، وفني مصور لا محب ولهان ،وشتان ما وصف النابغة المتجردة كوصف المجنون لليلى ولا غزله كغزل ديك الجن في النصرانية ، او ابن زيدون في ولادة .

وليس النابغة في حاجة الى تقبيل ثغر المتجردة حتى يجعله بارداً شافياً ، ولا هو مضطر الى الاتصال بزوج النعمان حتى يصف منهاما وصف، وليس في قصيدته ما يدل على انه فعل شيئاً مما ذكره فيجوز انه فعل ذلك كله كما يجوز انه لم يفعل شيئاً مما ذكره ونحن الى الرأي الثاني اميل ولا شك في اننا اتبعنا في رأينا هذا ميلنا وعاطفتنا لان العقل لا يستطيع ان يتغلغل الى علاقة رجل بامرأة متزوجة، ولو استطاع لانتشر الخصام في كل بيت من عشرة ابيات على الاقل، اما سبب غضب النعمان على النابغة فان له اسباباً غير المتجردة مما لا نتعرض له الآن .

وخلاصة البحث ان الشعر يخضع في اكثر احكامه لمبضع العقل ، وان في الشعر العربي ميداناً واسعاً للبحث المنطقي المعقول وان كثيراً من قصص الشعراء وحوادثهم من ابتداع الخيال الفني وما قصة المجنون وكثير وغيرهما الا روايات يختلط الخيال فيها بالواقع اختلاطاً قصصياً جميلاً .

حنا نمر

العندليب

للشاعر كيتس

☆

فؤادي يخفق ، وموجة من السبات تطغى على حواسي ، وكأني حسوت كأسي حتى الثمالة ، فرحت أغط في ساعة مع أهل الكهف!

وانت أيها العندليب ! . . . لا فلن اكويك بنار الحسد لحظك السعيد ونعيمك الوارف ! في لحنك الخالد ! وجناحك الخفيف ! بين مخارف الزيزفون الخضراء. وظلال الاشجار الفارهة! وانت تغني للربيع مل. حنجرتك ! آه على جرعة من النبيذ المعتق ! تنصب لي من أعماق الدنّ !

وفلورا الفتاة. . . في المروج الريّا تراقص الطبيعة بأغانيها المرحة !

أين كأسي! وقد طفح بحباب الحجل . . يغمز فألي كالايحوان لأهوي عليه به . . . ثم انسحب من الدنيا خفية . . . لاتوارى عندك في الغابة الصامتة أيها العندليب !

هناك سأختفي بين الاوراق . . . لأنسى كل شي. . . المتاعب والآلام والهموم! هنا . . . نستمع الى انات الآخرين باعصاب مهتزة وشعور بيضاء ناحلة! هنا . . يذوي الشباب فيجف واخيراً يموت !

والامل . . يوري جمرة الاوهام ويرهق معين الجمال أفلا نستطيع معه صبراً!! فينهدم الحب . . لتذروه رياح الغد!

هبوبا . . . هبوباً . . . سأطير اليك !

ليس في عربة "باخوس" ولكن على اجنحة "بوزي" الاثيرية . . . لان افكاري ستهدأ حيث يلطف الليل! والقمر السعيد يرفل في عرش السماء بهالة من النجوم كالخيال !! سأطير اليك أيها العندليب !

المسمية – فلسطين ترجمة : عبد المنعم العالم

الغصة السوداء !

رثاء الشاعر المهاجر رشيد ايوب

☆

لرياض المعلوف

سان باولو — البرازيل

يا شاعر الدنيا زهدت وكان زهدك عن صواب
ماذا لقيت من الحياة سوى الكآبة والعذاب
فصبرت منها صبر ايوب على مضض المصاب
يا من بنى تلك البيوت وبيته رهن الخراب
وكسا المعاني ثوبها وهو الفقير الى الثياب
يا من فقرت بما بذلت لجمع ثروات الكتاب
وأنفت بيع الشعر من ذا باع بالقشر اللباب
من ذا الذي باع الليالي والأماني العذاب
يا شاعراً طلب العلى وبشعره بلغ الطلاب
كابرت والنفس الأبية لا تذللها الصعاب
ما الشعر شيء في الحياة عليه صاحبه يعاب
كيما يعد نقيصة لا تستحق سوى العقاب
ماذا تود وترتجي منا ونحن من التراب

***

بالله يا درويش حدثنا الحديث المستطاب
صوت أبح كأنه ناي يهيم في الهضاب
لما تزل عيني تصور لي خيالك باكتئاب
عيناك أحياناً لمحه وكما بدا في الحال غاب
عينان غائمتان كالنجمين من خلل الضباب
لله بسمتك الكئيبة وهي من لون الغياب
لم أنس مجلسك اللطيف وفيه مؤتلف الصحاب
تروي فتصغي الكأس مبتسماً بها حبيب الشراب
من كل آية نكتة ضجت لها طبق السحاب

***

يا للغريب يموت مشتاقاً الى مهد الشباب
ماتت على عينك ذكراه وكفنها العباب
ومحا الردى تلك العيون وملؤها غب الاياب
هي غصة سوداء طول العمر منها الرأس شاب
غنيت لبنان الحبيب وكم تمنيت الذهاب
فمضيت ظمآناً لهاتيك الينابيع العذاب
ولحفنة من تربه لتضمها تحت التراب!!

مائة دجاجة وديك واحد

بقلم امين يوسف غراب

قصة

مهداة للاستاذ محمود تيمور بك

عندما غادر — السلاملك — واتجه ناحية « الدوار » ليجلس امام —بوابته— رتاجه الضخم الكبير كعادته كل مساء عندما يكون في القرية ، كانت تلوح عليه دلائل التفكير الخفيف الذي يشغل ولا يرهق ومع ذلك تتخوف منه النفس وتروح تنظر اليه في حذر وتعمل له الف حساب . وبلغ البوابة فجلس على المقعد الوثير الذي اعد له امام —المصطبة— الممتدة . وما أن جلس قليلًا حتى اقبل عليه زيدان ، خفير الدوار المخصوص به واقبل عليه في خشوع وادب جم وتقدم منه خطوة ، ثم انحنى امامه حتى كادت جبهته تصطدم بالمنضدة الصغيرة التي امام المقعد وتسقط من على رأسه لبدته الصوف الطويلة ذات الشريط الاحمر والبطاقة « النمرة » النحاسية الصفراء المرقومة ٢٦١٣ . وقدم له القهوة . وكعادته رجع خطوة ثم اعتدل في حركة عسكرية وانصرف من حيث أتى ، منتفخ الاوداج فرحاً بحظه السعيد الذي جعل منه خادماً خاصاً لحضرة عمدة الناحية .

ومد حضرة العمدة يده وتناول فنجان القهوة وارتشف منه قليلًا ثم اعاده ثانية ، واتصل به تفكيره الذي بات يشغله الى حد ما ، فاخرج من جيبه رسالة وردته هذا الصباح من القاهرة وفضها وراح يقرأها للمرة الخامسة او السادسة لا يدري .

انها من زوجه التي تقيم في القاهرة . وفيها «ابعث الي بكل هذه الاشياء مجتمعة قبل يوم الثلاثاء . فسأقدمها هدية لجليلة هانم بمناسبة ختان ابنها مدحت» .

وهو لا يستطيع ان يرد لزوجته طلباً فقد تزوجها على هذا الشرط ، على انه من اثرياء الريف وسيد القرية وعمدتها وعليه ان يمدها بكل ما تريد ويغدق عليها من خيرات الريف كل ما تشتهي . وعليها ان تقيم في القاهرة في قصرها المنيف في «الدقي» ولا تقيم معه اينما اقام ، فهي حرة طليقة من كل قيد شأنها شأن اللواتي لم يتزوجن ، او شأنها شأن اللائي تزوجن ولم تحكمهن ازواجهن . لذلك عليه — ان اراد — ان يذهب اليها في القاهرة ويمكث معها ليلة ان احب . وعليه ايضا ان يذهب اليها في الشهر مرة او ينقضي الشهر كله والشهور كلها ولا يذهب اليها ابداً ، وذلك اذا انهمك في شؤون القرية وجمع محصول ضياعه الواسعة . ولكن هذه الضياع او الضيعة على وجه التحديد لم يكن لها في الحقيقة من اثر او هي اصبحت اثراً بعد عين ، فقد استولى عليها بنك الاراضي من زمن بعيد وان كان هو الذي يستأجرها ويزرعها ، لان احداً في الوجود كله لا يستطيع ان ينتزعها منه او يطأ قدمه شبراً فيها حتى ما تحتاج اليه من خدمة تقوم بها اهل القرية لوجه الله وارضاء لسيدهم وعمدة قريتهم . ومن هو في القرية ؟ لا يضرب بأوفر سهم في خدمة العمدة ، الذي يعيش على صوت عزه الدارس وصلفه القديم وجبروته الذي ترتعد له اوصال الرجال قبل النساء في القرية ، وكبار الموظفين قبل صغارهم في المركز رغم انه لا يملك من متاع الدنيا شيئاً .

ولكن ما لزوجته وكل هذا ، ما شأنها هي به انها تريد كل هذه الاشياء .

مجتمعة ، وتريدها قبل يوم الثلاثاء لتقدمها هدية لجليلة هانم بمناسبة ختان ابنها مدحت. وقرب الرسالة من عينيه وقرأ هذه البيانات:

عدد

٦ كيلة من الارز الابيض

١ جوال من الدقيق « العلامة »

٢ صفيحة من السمن البلدي النقي

١٠٠ دجاجة من الجرابر السمان يكون من بينها ديك احمر اللون مشرئب العنق ذهبي الطوق اصفر المخلب لانه هو الذي سيذبح على رأس مدحت لحظة ختانه.

واعاد قراءة هذه الاشياء وتفرس فيها طويلاً وفي ارقامها ثم فكر . . . اما الارز فمن حسن الحظ انه هذا أوان حصاده، وان الضريبة التي فرضها على الفلاحين بنسبة ثلاث كيلات على الفدان لسد نفقات الدوار المفتوح للاضياف ليل نهار قد شرع في تحصيلها . لذلك فهو موجود بكثرة . . والدقيق يمكن الحصول عليه من الشيخ الدناصوري—شيخ القرية—نظير التغاضي عن ثوب الدبلان الذي اختلسه من الفلاحين وهو يوزع عليهم الاقمشة الشعبية ، وهو مع ذلك من الراجين، ألم يستطع بيعه في السوق السوداء باربعة اضعاف ثمنه وبضعفي ثمن الجوال الدقيق الذي سيطلبه منه الآن . . اما السمن فيمكن الحصول على الكمية المطلوبة من « شلبية » تاجرة السمن والبيض في القرية نظير اجابة رغبتها ، وهي تحريم مزاولة هذه التجارة الرابحة على غيرها من سكان القرية . . .

اما الدجاجات . . اجل اما الدجاجات! ان هذه هي مشكلة المشاكل اذ كيف يمكن الحصول عليها دون ان يخسر شيئاً من جيبه . لو ان الطلب مثلاً الذي طلبته زوجته عشر دجاجات او عشرون لخف الامر وهان، ولامكن الحصول عليه بأية طريقة ولكنه مائة دجاجة . عدد ليس الى الحصول عليه من سبيل دون ان يلحق اذى ما بجيبه . . وفكر طويلاً ! ولما لم يهتد الى حل ، اشار بيده فاقبل زيدان مهرولاً ومثل بين يديه في خشوع وادب جم وقال :

— افندم

— بكم الدجاجة السمينة في السوق الآن؟

فقال زيدان وهو يصلح من وضع لبدته حتى لا يتحول الشريط الاحمر حسب التعليمات عن وسط الجبلة.

— ان الفرخة التي ذبحت لسعادتك امس كانت بخمسة وثلاثين قرشاً.

فقال العمدة على الفور وهو يزوي ما بين حاجبيه ويقطب جبينه وتلمع عيناه

— وهل دفعتم فيها هذا الثمن

فقال زيدان وهو ينحني في احترام وادب جم :

— لقد اخذناها بالمجان من صاحبتها نظير التصريح لها بصرف اقة سكر واحدة.

وانصرف زيدان ليدعو الشافعي عامل التليفون والسماحي شيخ الخفراء والدناصوري شيخ البلد ليتشاور معهم العمدة في هذا الامر الخطير، امر الدجاجات المائة والديك الواحد . واجتمع مجلس شورى القرية برئاسة حضرة العمدة وسكرتارية الشافعي وعضوية السماحي والدناصوري وزيدان الذي كثيراً مايؤخذ برأيه في مثل هذه الامور الجسام، وعرض العمدة الرسالة على المجلس فبحثها بحثاً دقيقاً وتداول الرأي فيها ثم انتهى الى قرار حكيم ، وهو الاخذ برأي حضرة العمدة فيما يتعلق بالمسائل الاولى . اما المسألة الاخيرة وهي الدجاجات المائة والديك الواحد فقد اخذ المجلس فيها برأي زيدان وهو ان يطلق مناد ينادي في القرية ان اجمعوا دجاجاتكم واذهبوا بها الى الدوار ريثما ترحل في الغد الى المركز ، لتلقيحها ضد الامراض المنتشرة في الريف هذه الايام . ومن توجد دجاجاته مريضة فستعدم وستوقع على اصحابها غرامة فادحة، ومن غفل عن ازجاء « توريد » دجاجاته هذه الليلة او صباح الغد على الاكثر ويفتضح امره فسيزج به في السجن ، وذلك حسب امر حضرة العمدة واخطار المركز وتعليمات الوزارة.

وما ان انطلق المنادي يخطر الناس بالامر . وما ان احاط اهل القرية علماً بأن من يتأخر عن تنفيذ ذلك ستوقع عليه غرامة مالية لا تقل عن جنيه ولا تزيد عن ثلاثة جنيهات ، حتى هرعت النسوة والاطفال والشيوخ يحملون الدجاجات الى الدوار الذي وقف زيدان على بابه يحصي الوارد منها ويثبته في كشف معه ، كان يقبل الدجاجات السمينة الصحيحة الصالحة اما الصغيرة التي لا تذبح والمريضة التي لاتؤكل فيردها بحجة انها لا تقع تحت طائلة القانون ولا التعليمات الواردة من حضرة طبيب بيطري المركز.

وما ان انتصف الليل حتى كان الدوار يموج بكل دجاجة سمينة يسيل لها اللعاب وتتلمظ لها القدور ، وما ان انتصف اليوم الثاني حتى كانت الشحنة قد شحنت بتمامها الى القاهرة . وما تبقى بعد ذلك من دجاجات فقد احتجز منها زيدان ما يفي بمؤونة حضرة العمدة مدة شهر، والباقيات الصالحات

ردها بحجة انها وجدت صحيحة ، وقد ردت بالتمام والكمال . وذلك بفضل زيدان الذي يتفانى في خدمة حضرة العمدة باخلاص يحسد عليه ، كما كان يقدر لاهل القرية خدماتهم لسيدهم ويحفظها لهم ويردونها هم اليه مضاعفة في شتى المناسبات . . .

ومر على هذا الحادث اسبوعان ، وتساءل الناس في القرية عن دجاجاتهم التي احتجزت وهل عـادت من المركز بعد تلقيحها ، ام هل وجدت مريضة فاعدمت وما هي الغرامة التي ستفرضها الحكومة عليهم في حالة وجودها مصابة بامراض خطرة . . وهل العمدة سيحصل منهم هذه الغرامة فوراً وفي الحال ومرة واحدة ! ام سيرحمهم كعادته ويحصلها على اقساط . .

وكانت هذه الاسئلة توجه حيناً الى زيدان وحيناً الى الشافعي فيجيبا معاً بان تقرير الكشف الطبي لم يصل للقرية بعد . وان العمدة بارك الله فيه ومد في عمره استطاع ان يقدم اليهم خدمة جليلة ما كانوا ليحلموا بها وهي احتساب نفقات دجاجاتهم ايام حجزها في المركز « على نفقة الحكومة » الى ان يبت في مصيرها . ولو ان الحكومة حصلت منهم هذه النفقات لدفع كل صاحب دجاجة واحدة عشرين قرشاً قيمة اكلها ومسكنها وخدمتها في اسبوعين . كما انه بذل قصارى جهده حتى لا تقع غرامة على من وجدت دجاجاته مريضة . واذا سأل احدهم كم منها وجدت مريضة قال زيدان وهو يلوي شفتيه ويقطب جبينه في ألم بل قولوا كم منها وجدت صحيحة . فلا يسعهم الا ان ينصرفوا مبتهلين الى الله ضارعين اليه ان يوفق العمدة في دفع هذا البلاء عنهم .

وكان اشد اهل القرية تفكيراً وتعلقاً بهذا الامر الخطير ، الشيخ الزواوي فقيه القرية ومحيي افراحها ومقيم مآتمها ومكفن موتاها فقد كان حظه يختلف عن حظ غيره ونصيبه اشد سواداً من نصيب غيره فقد ابت عين زيدان الساهرة اليقظة الا ان تقع على ديكه العزيز عنده الحبيب الى نفسه الذي كان يستيقظ كل يوم ليصلي الفجر على آذانه الحلو وصوته العذب الذي كان يرن في داره رنيناً ينتشي له قلب الشيخ . ولو ان حظه لم يكن مائلا ونجمه منحرفاً لما كان ديكه العزيز احمر اللون مشرئب العنق ذهبي الطوق اصفر المخلب . . وفكر الشيخ الزواوي طويلًا وأجهده التفكير ان ديكه لم يكن مريضاً ولم يصب يوماً بسوء ولم ينقطع لحظة عن الصياح والأذان في الوقت المناسب فلماذا يحتجز ؟ بل ولماذا هذه البدعة الجديدة التي ابتدعتها الحكومة بتلقيح الدجاجات ووقايتها ؟ ولمـاذا لا تلقح غيرها ؟ بل ولماذا تبذل جهدهـا للمحافظة على الفراخ وانواع الطير وتجنبها عوادي المرض بينما الاطفـال والشيوخ والعجائز في القرية يموتون كل يوم جماعات حتى كلّت سواعده من التغسيل والتكفين وبح صوته من القراءة على الارواح الذاهبة الى ربها تشكو اليه ظلم الجوع وجبروت الفقر وغطرسة اولي الأمر؟ . . بل ولماذا تهتم الحكومة بديكه ولا تهتم به هو وله سبع ليال كاد يبيت فيها على الطوى لان احداً في القرية لم يمت من سبع ليال خلت ؟ بل ولماذا تهتم الوزارة بدجاجات ام علي وتشفيها من امراضها وتلقحها وتحافظ عليها ولا تهتم بابنها الذي عضه الجوع فوجد من ايام ميتاً في حقل الشيخ مروان؟ . . اجل لماذا تهتم الحكومة بالحيوانات ، فتحقن منذ ايام ، الجاموس وتلقح البقر وتأمر بقص الحمير واليوم تجمع الدجاجات وتأخذ منه ديكه ولا تهتم بذلك الخبر المفجع الذي اسال الدموع من عينيه والذي قرأه عليه في «الجرنال» من يومين ، الشرنوبي مؤذن المسجد . خبر تلك المرأة التي ماتت ابنتها فعجزت عن تكفينها فالقت بها في اليم . ومع ذلك لم تأل الحكومة جهداً في تقديمها الى المحاكمة ولم يألُ القضاء جهداً في اظهار الحق ، فجاء حكمه العادل نقطة حالكة السواد في جبين الانسانية التي يتشدقون بها ، والمدنية التي يتحدثون عنها .

وساورت كل هذه الافكار ذهن الشيخ وراح يرددها وهو في طريقه الى المسجد ، ولكنه خرج منهـا في النهاية مقتنعاً بانه لا بد وان في الامر سراً . ولا بد وان في الغمد سيفاً وان كان مثلوم النصال . فراح لذلك يبحث ويتقصى ، وكلما برح به الشوق لأذان الديك وشاقته طلعته الجميلة وهو يتهادى امـامه بعنقه المشرئب ولونه الاحمر وطوقه الذهبي . .

الاستاذ امين يوسف غراب

جد في البحث وامعن في التقصي الى ان اهتدى اخيراً الى الحقيقة المرة ووقف على السر الخفي ووضع يده على الغمد فاذا بالسيف الذي فيه يقطر خزياً وعاراً . وعرف الشيخ ان دجاجات القرية ذهبت الى غير رجعة وان ديكه قدم مع الهدية الى زوج العمدة فثارت ثائرته واشعل الغيظ حفيظته! ولكن ماذا يعمل؟ .. هل يستطيع ان يواجه العمدة ويقف وحده امام هذا الجبار العاتي الذي لا يستطيع مأمور المركز نفسه ان يقف امامه . ولكن هذا الضيم وهذا الهوان الى متى يظل سيفها مصلتاً على رقاب اهل القرية؟ والى متى يعيش اهلها عبيداً اذ لا. يعبث بهم هذا الرجل الذي تبلغ به القحة ان يستبيح اموالهم ويأكل دجاجاتهم ؟ انها لحقارة من اهل القرية ان يقبلوا هذا منه ، انهم عاشوا ارقاء كل هذا الزمن فلماذا لا يعيشون احراراً ما بقى لهم من عمر؟ لقد انتهكت حرمتهم طوال عمرهم فلماذا لا يهبون للذود عنها في اخريات ايامهم كي يموتوا احراراً كما ولدوا احراراً . ثم من هو العمدة؟ ومن هي عزوته؟ انهـا قليلة ذليلة لا تكاد تذكر . وهل يوجد في القرية على سعتها من يقف بجواره غير الشافعي عامل التليفون والسماحي شيخ الخفراء والدناصوري شيخ البلد وهذا الزنديق اللعين الماكر الفاجر زيدان الذي مسخه الله في صورة ثعبان ازرق ينفث السم اينما حل ، ومن الخير قتله وتحطيم رأسه تحطيماً .

فلماذا اذن لا تهب القرية عن بكرة ابيها وفيها الالوف المؤلفة من الرجال الاشداء الاقوياء وتسحق العمدة سحقاً وتهدم دولة الظلم هدماً وتقيم على انقاضها دولة صالحة لا تستذل الاحرار ولا تستعبد الرجال ولا تأكل الا الحلال ولا تهدي للنـاس دجاجات الناس .

وبهذه الروح القوية والحجج الدامغة استطاع الشيخ الزواوي ان يضم اهل القرية اليه ، وراحوا يعقدون الاجتماعات تلو الاجتماعات سراً فقر قرارهم النهائي على التوجه الى العمدة عقب صلاة العشاء طالبين منه دجاجاتهم وهي بطبيعة الحـال غير موجودة فيضطر الى دفع ثمنها وان لم يفعل واغلب الظن انه لن يفعل ، سحقوه سحقاً من عالم الوجود ولكن بعد ان يفهموه انهم اليوم غيرهم بالامس فقد ذهب زمن الاستبداد وتلاشت ايام الفراعنة وانقرض حكم المماليك ، وسيقول هذا له الشيخ الزواوي بنفسه وهو الذي سيقودهم ويتحدث بلسانهم .

وكان مقر الاجتماع في المسجد ، وبعد صلاة العشاء خرجوا جماعة يتقدمهم الشيخ الزواوي الى دوار العمدة فوجدوه في مقعده الفخم الضخم الوثير امام الدوار ، وما ان اقتربوا منه حتى القوا عليه السلام اولا ولكن في خشونة ، ادرك بها العمدة سر مجيئهم وانهم علموا بحقيقة امر الدجاجات فقال لهم وهم صف واحد امامه بصوت اجش — اجلسوا — فجلسوا معاً في حركة واحدة كما تعودوا ان يجلسوا امامه على المصطبة من قبل . وبعد قليل ولما لم يتكلم منهم احد قال لهم بنفس الخشونة والصوت الجاف — ما الذي جاء بكم؟ — فنظروا جميعاً وقد ارتعدت اوصالهم الى الشيخ الزواوي الذي ما ان وجد نظرات العمدة النارية الحادة توجه اليه وحده دون سواه ، حتى ارتعش في جلسته وهمهمت شفتاه ولكنه استطاع بعد جهد جهيد ان يفتح شفتيه ويتمتم قائلاً :

— جئنا من اجل الدجاجات

وصرخ العمدة صاخباً وقد تقلصت شعرات حاجبيه واحمرت عيناه وغدا كالاسد الهصور ، وقال بصوت كالرعد يصم الآذان :

— وما الذي جاء بكم من اجلها ؟

فقال الشيخ الزواوي على الفور وقد علت دقات قلبه واصطكت فرائصه :

— جئنا لندفع اليك الغرامة . ان كانت هناك غرامة على الدجاجات التي اهديت!

***

واحد هو الذي كان يشيعهم وهم ينصرفون ويضحك ملء شدقيه . ذلك هو زيدان الذي كان دائماً يطمئن جداً الى صواب رأيه .

القاهرة — امين يوسف غراب



نحن والعام الجديد

★

بقلم
جلال فاروق الشريف
دمشق

نعود

وسنظل دوماً نعود، كما عدنا من قبل، في نهاية كل عام، ومطلع كل عام، الى انفسنا، والى الامة، بعزيمة العربي، وشمم ابن الصحراء، لا نقيس الحاضر بالماضي فنقنع، ولا المثال بالواقع فنيأس، وانما عرب، تنضح بالسيادة منا الدماء، وتلتهب بنار الحمية منا القلوب، ابداً في شموخ، ودوماً في اعتلاء.

نحطم قيداً من قديم، ونعلو على واقع من حجر، ونثيرها عشواء، تحرق كل شيء، حرية تأبى على الاغلال، وعزة لا تستكين الى مر، لا نذل لملك وكلنا ملوك، ولا نعبأ بمستبد فكلنا مثله.

في نفوسنا شعلة تريد ان تحرق، وفي فكرنا ثورة تريد ان تتحقق، وامامنا استبداد يجب ان يزول، وسيزول، كما زال من قبله استعمار، وسينهار كما انهار من قبله كل متداع سقيم، وكل عفن متفسخ.

هنا، على ارضنا هذه، وفي سبيل عقيدة العروبة، لن نتكلم بغير التطرف ولن نقدس غير العاطفة، فهدوء العقل، لغير النضال، وصقيع النقاش، لغير العمل.

ابداً لن نقول كلمة، وابداً لن ننبس بحرف، في البدء كانت العروبة، فليصمت العقل، وفي البدء كانت الامة، فلينته الفرد.

في انفسنا، ربضت امتنا، وفي انفسنا، فردية ثائرة، لا تهدأ او تلين.

في البدء كان هذان الاثنان، فكل ما خلاهما باطل، ومن اجلها نعمل جاهدين، ومن اجلها نثور هادمين.

على ارضنا، فلول من عقلية الماضي، لا تزال باقية.

وفي أمتنا، اشتات من دعاة الهزيمة، تفر مولية.

وامامنا، بمن بهرهم النور، جمع اعشى.

فالى مذبحك أيتها الامة، سنقدم كل هؤلاء، ثمناً للانقلاب.

وفي نار معبدك المقدس، ستتبدد هذه الاشياء، هباء ودخاناً.

هنالك في الريف، عربي يشق الارض، مغلول اليد، مغلول الفكر، مغلول القدم.

وهنالك في المدينة، عربي يدق الحديد، انهكه الظلم، انهكه الفقر، ارهقه المجتمع.

وهنالك في الدواوين، عربي يخط السطور، رث الثياب، رث الشباب، رث النظر.

فثورتنا كما ستكون، ونضالنا كما هو الآن، من أجل هؤلاء.

في مجتمعنا حواجز، هي الطبقات، تستغل بعضها.

وفي واقعنا درجات، هي المناصب، على غير الكفاءات.

وفي الصفوف وطنية، خلقها المستعمر، من أهل الاسر.

فثورتنا كما ستكون، ونضالنا كما هو الآن، لدك هؤلاء.

عندما تقوم أمامنا العقبات، نزدريها ونقول. خلقت لنجتازها.

وعندما تكتنفنا الشدائد، نبتسم ونقول: فلنختبر عزيمتنا.

نحن، طليعة هذا الجيل، نعرف مهمتنا.

انها النضال، ونحن سعداء بها.

وعندما يصهرنا الالم، لا نتوارى يائسين، فاليأس لغيرنا.

وكلما انقضى عام، نتطلع الى الامام، لنقيس ما بقي امامنا من المرحلة ولن تنتهي.

وكلما اقبل عام، نرقبه بلهفة وشوق، فهو ميدان لعمل، ومجال لنضال.

وكما كنا في القديم، رسل حضارة وانسانية، فكذلك سنكون في المستقبل.

وكما كنا حملة مشعل بين حضارتين قديمة وحديثة فكذلك سنكون في المستقبل.

بين حضارتين، حديثة وجديدة.

وعندما ينتهي انهيار هذا الغرب، وتعم الفوضى.

عندما سيصل الى اعماق الهاوية التي حفرها لنفسه.

سيتطلع العالم الى منقذ، وسيكذب كل من تنبأ، لانه لن يجد منقذاً غيرنا.

مدارس المكتبات الحديثة في الغرب وحاجتنا الى مثلها

•

اقتراح موجه الى حكومات جامعة الدول العربية

بقلم يوسف اسعد داغر

امين دار الكتب اللبنانية

☆



جهل القارىء ما وصلت اليه المكتبات في عصرنا هذا من الكثرة والتنوع والسعة وعظم الشأن. ومردّ ذلك كله في نظر العارفين وعلماء الاجتماع الحديث الى جهود الحكومات الراقية وعنايتها الدائبة بصالح تلك الدور العلمية والمؤسسات الثقافية العليا والحرص على انالتها استقلالها المالي والاداري ؛ كما يعود من ناحية اخرى الى اسناد ادارة هذه المعاهد الى امناء فنيين اخصائيين اعدّوا الاعداد الفني والمسلكي اللازم في المدارس الخاصة بالمكتبات وخزائن الكتب، حيث تلقوا الدروس النظرية والعلمية التي تتعلق بمهام هذه الدور وشؤونها. فلا عجب، والحالة هذه، ان تتسع هذه المواطن العلمية وتتطور الى ما نراها اليوم عليه من بسطة وسعة وخطر.

يعتقد العامة في هذا الشرق ويشاركهم الرأي كثيرون من سطحيي النظر من اولياء الامر هنا وهناك وهنالك في هذه الاقطار الشرقية، ان حرفة امناء المكتبات هي حرفة تافهة لا شأن لها ولا وزن، ويمكن بالتالي اسنادها الى اي كان من جمهرة الادباء والكتاب والشعراء، حملوا شهاداتهم الجامعية او الثانوية او الابتدائية ام لم يحملوا. فكانوا في عقيدتهم هذه ونظرهم الخاطىء ضالين ومضلين. وعذرهم في نظرنا انهم لا يعرفون شيئاً عما لهذه المؤسسات من منزلة رفيعة وعما توجبه ادارتها واعمالها من الشرائط العلمية والثقافية، والاختصاص الفني والمسلكي فيمن يتولى سدافتها. وكيف يفطن هؤلاء الناس الى خطر هذه الشروط وهم ينظرون الى المكتبات نظرهم الى اتفه المهن والحرف، يتزلونها من حياة الامم والشعوب الى درك الهوامش العالقة بالحياة وحواشيها ؛ فلا يفقهون ما للمكتبات من اثر عميق الغور ونفوذ بعيد الحدود في تكوين ثقافة الامة وتغذيتها ورفع مستواها بين طبقات الشعب مهما اختلف صعيدها وتباين.

نظر الامم الغربية الى المكتبات العامة

اما في الغرب فالامور تجري فيه على غير هذا المنوال وتسير في غير هذا المجرى اذ اننا نرى الامم والشعوب؛ هنالك لا تتغاضى حكوماتها عن تعزيز المكتبات بوجوب اسناد ادارتها الى الاخصائيين الاكفاء. فقامت تلك الحكومات، تنشىء لها، في هذا السبيل معاهد علمية دراسية عليا تعنى عناية خاصة باعداد امناء ومحافظين فنيين للمكاتب. فيقبل على الانخراط في تلك المدارس العليا، ومعظمها مدارس جامعية، من انسوا من نفوسهم استعداداً خلقياً واتجاهاً نفسياً للاشتغال بمهام المكتبات والعمل في شؤونها العديدة. وقد اشترطوا، على من يرغب الدخول الى تلك المدارس الفنية شروطاً قاسية، صعبة المنال، عسيرة التحقيق منها ان يكون الراغب في الانتساب اليها حاملا لشهادة عالية من احدى الجامعات، ومنها معرفة اللغات القديمة كاليونانية واللاتينية والسامية وفروعها العديدة معرفة دقيقة. وقد نصت قوانين بعض هذه المدارس، ومنها مدرسة «الشارت» Ec. des Chartes[1] على وجوب تقديم امتحان في مواد ومواضيع معينة، لا يستثنى من اجتيازه احد مهما علت الشهادات التي يحملها ومهما تسامت درجتها. واني لاذكر على سبيل المثال فقط انه كان في عداد التلاميذ العشرين الذي دخلت واياهم السنة الاولى من مدرسة «الشارت» هذه، ثلاثة حاملون لشهادة المأذونية في الحقوق Licence وبينهم

(١) راجع في هذه المدرسة مقالاً مسهباً بقلم رئيسها الاسبق موريس برو نشره في «مجلة العالمين» في عددها الصادر في ١٥ يناير ١٩٢٧، بعنوان: «معاهدنا الكبرى ٧: مدرسة الشارت»

واحد مأذون ايضاً بالآداب والتاريخ ، وطالبة اخرى حائزة على شهادة الدكتوره في التاريخ . ومع ذلك لم تكن دروسهم وشهاداتهم الجامعية ، لتؤهلهم ، في نظر القانون والحكومة وادارة المدرسة واهل الاختصاص ، لتولي مهام ادارة دور الكتب بجدارة واهلية واستحقاق . فاضطروا ان يجوزوا امتحاناً عسيراً قد يرسب فيه الكثيرون من حملة الشهادات العليا ، ليستطيعوا ان يتلقوا ، في ذلك المعهد فن المكتبات الحديث وعلم تنظيمها وفن ادارتها طوال سنوات . فما رأي بعض حكوماتنا الشرقية العربية يا ترى بهذا الامر ؟

برامج هذه المدارس

اما برامج تلك المعاهد العليا ولوائح دروسها ومناهجها التعليمية فتتناول ، على الاجمال ، علم المراجع او علم الكتب وهو المعروف بعلم البيبليوغرافيا وبدانيه من بعيد من حيث المدلول والمفهوم « الوراقة » عند العرب ، وعلم النقد التاريخي للنصوص Diplomatique ، وتاريخ الكتاب والنساخة والكتابة وادواتها قديماً وحديثاً وعلم قراءتها ، ومن تلك الدروس البحث فيما يجب ان يتوفر في تلك المعاهد الكتابية من الشروط الهندسية واصول البناء والتخطيط والاتجاه والتنوير والتدفئة . وهنالك دروس في التأليف والنشر العلمي المخدوم والطباعة وتاريخها والصحافة وقوانينها وتبويب الكتب وطرائق التصنيف ومذاهب التنسيق الفني والفهارس البطاقية وشرائطها العلمية وانواعها المختلفة والاعارة والعارية الدولية وطرق انماء رصيد المكتبة بالشراء والاستهداء والمبادلات والمقايضات والايداع القانوني ومن تلك الدروس ايضاً التجليد واساليبه وفنونه وشرائطه وتاريخه وتصوير المخطوطات ، ومنها ايضاً دروس مهمة في عدة امين دار الكتب من الثقافة العامة والثقافة اللغوية والالسنية ، وعدته من فهارس الكتب القديم منها والحديث بين مطبوع ومخطوط ، شرقي وغربي ، وعدته من كتب السير والتراجم والطبقات ومجاميع الكتب والمؤلفات بين عام وخاص مما يتعلق بالعلوم العقلية والنقلية .

هذا بعض ما يدور عليه او يحوم حوله علم المكتبات الحديث وفن تنظيمها ، وهو قليل من كثير مما يلقى من فوق منابر تلك المعاهد . وكلها يرمي الى غاية واحدة وهدف واحد الا وهو تهيئة رجال فنيين للاشتغال بمهام دور الكتب ، اذ ليس من يجهل ، في الغرب ، ان انتاج المكتبات ومدى تأثيرها يقوم ابداً وقبل كل شيء ، على عنصرين اساسيين : هما قيمة المجموعات العلمية والفنية والادبية ، اولاً ، وعلى جدارة امينها وكفاءته العلمية ومقدرته الفنية واختصاصه المسلكي ، ثانياً . وما العنصر الاول الا نتيجة محتومة للثاني ، اذ قيل : كل اناء بما فيه ينضح ، وقد جاء في المأثور من امثلة الغرب : لا يعطي المرء الا ما تملك يداه .

وقد ظهرت ضرورة هذا التخصص باجلى وضوح لأهم اساطين هذا الفن ومشهوري الاساتذة ، فاسمع ما يقوله بهذا الصدد ارنست كيويك E. Coyèque الاخصائي بفن المكتبات والمفتش العام لمكاتب باريس البلدية ، وعددها يزيد على ٨٥ مكتبة : « ان الوسائل التجريبية والتعلم الذاتي في ادارة المكتبات يسببان ابداً ودوماً ضياعاً في الوقت وارتباكاً في العمل وافساداً لرسالتها . فيجب ان نكون قد طوي عهدهما ودخل في خبر كان منذ آن بعيد . فلكي نعمل جيداً ، يجب ان نكون قد حذقنا طريقة هذا العمل والاخذ به من قبل . »

ومن احب ان يطلع على آراء الائمة الاعلام ويستقرىء وجهة نظرهم بهذا الصدد فليراجع تقارير المؤتمر الدولي العام للمكتبات ، المنعقد في رومة والبندقية بين ١٥ — ٣٠ حزيران ١٩٢٩ ومن تلك التقارير المسهبة درس مستفيض البحث لاستاذنا غبريل هنريو G. Henriot امين مكتبة فورنيه Forney ومدير مدرسة المكتبات البلدية في باريس . وقد تولت نشره مجلة المكتبات لسنتها ٣٨ (١٩٢٩) بعنوان : « الاعداد المسلكي والفني لامين المكتبة وحافظها[1] » اتى فيه هذا الخبير الثقة والاخصائي الكبير على نتيجة استقصاء دقيق قام به مباشرة ، تحرّى فيه آراء اولئك الخبراء الذين اجمعت كلمتهم على ضرورة انشاء معاهد خاصة تعنى بتدريس فن المكتبات وتنظيمها ، وباعداد هيئة ادارية فنية متضلعة باصول هذه الحرفة واقفة على بواطن اسرارها .

ومن استقرأ آراء ائمة هذا الفن وتدبر وجهة نظرهم خرج منها بالنتائج والاستنتاجات التالية :

١ — إجماع الكلمة على ضرورة التخصص بفن تنظيم المكتبات لمن تسند اليه ادارة المكتبات العامة .

٢ — تختلف آلة التخصص ومدد التحصيل والدراسة باختلاف انواع المكتبات وتباين اتجاهها واغراضها الاساسية وثقافة

(١) Rev. des Bibl. Vol. 38 (1929), p. 189: « Formation Professionnelle du Bibliothécaire.

البلاد التي تغذيها .

٣ — التخصص يقوم في معـاهد خاصة يتلقى فيها الطالب المجهز باحسن اجهزة العلم الحديث ، الدروس النظرية والمحاضرات . اما التارين العملية والتمرس بالاعمال وكل الاعمال التطبيقية ، فيجب ان تتم في احدى دور الكتب العامة .

٤ — ان المعاهد العالية التي تعنى بفن تنظيم المكتبات يجب ان تكون تابعة لاحدى الجامعات او الكليات الجامعية . اما التي دونها شأناً فلا يضيرها ان تكون مستقلة على شرط ان تتوفر فيها المجاميع العلمية والكتب الفنية وكتب المراجع العـامة والواح من الرسوم والخطوط والخرائط البيانية .

٥ — لما كان يستحيل وضع نظام واحد موحد لتلك المعاهد كافة ، في جميع انحاء المعمور ، وذلك لاختلاف ظروف الحال والمكان ولتباين الثقافات واختلاف تياراتها واتجاهاتها وتفاوت المستوى العلمي والخلقي فيها . فقد اجمعوا على ان تأخذ تلك المدارس طلابها بدروس علمية وعملية يرتاضون معها على صنع الفهارس البطاقية وكتابة الاستشارات ومزاولة المراجعـة والبحث العلمي ، وهداية الزوار والمطالعين الى المصادر والمراجع التي يصعب عليهم وجدانها بانفسهم .

٦ — لما كانت المكتبات هي المراجع العامة لانتقاء المصادر والوثائق والمستندات على اختلافها ، وجب على القائمين باعداد الموظفين الفنيين التثبت من ميول الطلبة والوثوق من استعدادهم الخلقي والنفسي تجاه هذه الحرفه . فاذا ما آنسوا منهم حب النظام والتنظيم والدقة والترتيب ورأوا فيهم الاستعداد والمؤهلات للأخذ بالاسلوب العلمي وقابلية لاستساغة المعارف والعلوم وتمثلها والتهيؤ الخلقي لارشاد المطالعين وانارة الزوار وهديهم الى مواطن البحث الى غير ذلك من الصفات الخلقية ، انصرفوا بكليتهم الى تنمية تلك السجايا وتقويتها وانمائها .

٧ — ان الثقافه العامة ، هي بنوع الاجمال اجزل فائدة واوفى بالغرض من الانصراف الى التخصص بناحية واحدة . ما عدا بعض الحالات الخاصة والظروف المحددة .

٨ — على نقابات امناء دور المكاتب وجمعياتهم القانونية ان تعمل بتؤدة وروية على إثارة رغبات بعض الاوساط العلمية : كالطلبة والاساتذة ورجال الصحافة ورجال القانون والمحامين وتشويقهم الى ارتياد دور الكتب والاستفادة بما فيها من كنوز العلم والمعرفة . ومن الوسائل التي يحسن بادارة المكتبات التذرع بها للوصول الى هذه الغاية القاء سلسلة دورية من المحاضرات يدعى الى حضورها جمهور منتقى من رجال الفكر والرأي في العلم ، تدور مواضيعها على نواح مختلفة من الثقافة ، فتبين لهم ضرورة انشاء المكتبات في البلاد على معدل يستوي مع مقدرته الاقتصـادية وحاجته الادبية ودرجة رقي البلاد وتطورها .

هذا قليل من كثير من تلك الآراء والتعاليم التي اجمع عليها كبار الائمة في هذا الفن والاخصائيين بعلم المكتبات الحديث وفن تنظيمها اثناء مداولاتهم ونقاشهم في المؤتمر الذي عقدوه في رومة والبندقية وقـد كتبنـا هذه العجالة بعـد اطلاعنـا على لوائح اشهر تلك المعاهد وبياناتها ومناهج الدارسة فيها ، سواء ما قام باوروبة منها ام بآسية . وكلها تدور حول اعداد امناء دور الكتب وحفظتها وخزنتها وهيئة ادارتها على امثل الطرق واصلحها وصولاً منها الى الاهداف السامية التي تهدف اليها تلك المعاهد الثقافية .

ومن اراد التعمق بالموضوع والاستبحار فيه والاطلاع على كلياته وجزئيـاته ، فليراجع الكتـاب المعروف المعنون : Rôle et Formation du Bibliothécaire وقد نشره المعهد الدولي للتعـاون الفكري التابع لجامعة الامم ، في باريس سنة ١٩٣٥ وقد جاء في ٣٨٠ صفحة من القطع الكبير ، استعرض فيه مؤلفوه المناهج الرسمية لتخريج امناء المكتبات في امبركة واوروبة وآسية وافريقية ، مستعرضين منها ٣٥ منهاجاً مختلفاً في ٣٠ دولة . والكتاب المذكور ينتهي بثبت عام للمصادر والمراجع والاسانيد Biblio graphie مثبتة بين الصفحات ٣٥٥ — ٣٨٠ في كل ما يهم المكتبات العامة وما يتعلق بها في كل من هذه البلدان .

بوادر الامل وبواعث الرجاء

هذا موقف الغرب ، حكوماته ودوله ، شعوبه وامـمه ، عامته وخاصته ، من قضية يعدها في مقدمة المشاكل الاجتماعية والثقافية التي تهزه ، اذ يرى ان في معالجتها وحلها الصالح مصير الاجيال الطالعة عنده .

اما نحن في الشرق ، ولا سيما في الشرق العربي ، فلا نزال في مجموعنا ، شعوبـاً وحكومات وطبقات ، بمعزل عن معالجة مثل هذه القضية ، لا نوليها اي اهتمام ولا نشعر حتى بوجودها كمعضلة ، لان المكتبة او المكتبات عندنا لا تزال بعد على هامش حياتنا القومية والثقافية ، ولا نرى من هذه الناحية اي وعي في الجماعة نستشعر معه قرب الاهتمام منها بـ « قضية ما بعد المدرسة » في الشرق وهي قضية الثقافة ومصيرها ومسيرها في هذه الربوع . وليس

من يجهل ان النهوض بالثقافة ممثلة في المكتبة وليس في المدرسة ، هي الاساس الاول والدعامة الركينة لكل نهضة حقيقية . ان نمو الامم وتطورها لا يتم على القدر المرغوب فيه الا بنسبة صلاح الغذاء ووفرة غناه بالعناصر المغذية ، شأنها في ذلك شأن جسم الانسان . نحن في الشرق العربي لا نزال مقصرين جداً — بالرغم من الجهود المبذولة — من وجهة العناية بمشاكلنا الثقافية ، والمكتبات منها الركن الركين . ويجب على حكوماتنا ان تستحث الخطى وتجد في السير وتلهب حوافر المركبة فلعلها تقصر مدى البون الشاسع البادي ، بين الشرق والغرب ، من وجهة المستوى الثقافي وعدم تكافئه هنا وهنالك ، حتى بين ارفعنا صعيداً ثقافياً وادناهم مستوى ثقافياً . اقول هذا وانا ابعد ما اكون عن تثبيط الهمم او بعث اليأس في القلوب ، بل اني ارى في تشخيص الداء وذكر الدواء خير وسيلة الى العبور منه الى الشفاء . حتى اذا ما نفضنا عنا ما نقاسيه من الاوصاب شمرنا عن ساعد الجد لألحاق بمن تقدمنا ، بالرغم من المراحل التي تفصل بيننا .

ان من يتتبع سير الامور الاجتماعية في الشرق ولا سيما الثقافية والتعليمية منها في السنوات الثلاث الاخيرة ، يرى هنا وهنالك بوادر الاهتمام الجدي بامور المكتبات ووجوب إعداد امنائها وخزنتها اعداداً علمياً وفنياً ومسلكياً خاصاً لائقاً بالنهضة التي تطل فتبشر باطيب المحصول . وقد لاح في الافق فجر جديد يبدو منه أن الحكومات العربية ستحل قضية المكتبات في الشرق العربي المحل اللائق من همها . والشاهد على ما نقول ما نقرأه في مجلاتنا بهذا الصدد وهو رجع الصدى لعناية بعض القادة في الشرق واهتمامهم الجدي بامورنا الثقافية والتنسيق بينها على اصول صحيحة تراعى فيه نسبة الارتباط والتفاعل بين الكبريات والصغريات لتأتي النتائج المرجوة وفاقاً مع احكام العقل والمنطق وطبائع الامور .

وقد جاء بهذا الصدد في مجلة « الكتاب » الغراء ما يلي : « من المشروعات المقدمة الى مجلس النواب بمصر في دورته المقبلة : مشروع « معهد فؤاد الاول للبحوث العلمية . وسيتناول المعهد المشار اليه الاشراف الفني على طائفة من المصالح الحكومية ذات الصبغة العلمية وعلى الهيآت العلمية المعترف بها ، وسيزود باكبر مكتبة علمية في الشرق العربي . ومشروع إنشاء « معهد فن المكتبات » على ان يلحق بكلية الآداب وذلك لتخريج متخصصين بفنون حفظ الكتب والمخطوطات والوثائق . وستكون الدراسة فيه مسائية على غرار معهد الصحافة ، ويلحق به الطلاب المتخرجون في كلية الآداب او دار العلوم »[1]

وقد جاء في احد اعداد هذه المجلة الكريمة بهذا المعنى ما يلي : « تدرس جامعة فؤاد الاول فكرة انشاء معهد لدراسة فن المكتبات على نمط معهد الصحافة يلتحق به الطلاب الحاصلون على ليسنس كلية الآداب او دار العلوم . وتكون الدراسة مسائية . ويعين خريجو هذا المعهد في مكتبات البلديات ودور المحفوظات والمكتبات العامة . وقد استعانت الجامعة في دراسة نظم هذا المعهد بالمناهج السائدة في معهد فن المكتبات بكل من باريس ولندن »[2]

وقد جاء في عددها الاخير ما هو بالحرف الواحد : « يفتتح اتحاد المكتبات البريطانية مدرسة للتدريب على اعمال المكتبات في القاهرة باشراف المعهد البريطاني »[3].

كل هذا يدل دلالة واضحة على بوادر نهضة مباركة ستتفجر قريباً في هذا الشرق تتناول النظر في امر المكتبات وادارتها الفنية ومهامها العلمية توجيهاً للتيارات والمجاري الثقافية في الشرق .

ولما كانت قضية المكتبات وفن تنظيمها الحديث هو موضوع اختصاصنا تلقيناه من معهد فن المكتبات في مدرسة « الشارت » والصوربون ومدرسة المكتبات البلدية في باريس ، بين ١٩٢٩—١٩٣١ ، ولما كنا نعتقد اعتقاداً وثيقاً ان كل نهضة في الشرق لا ترتكز على أسس علمية ثقافية وطيدة — والمكتبات العامة هي اولى هذه الاسس — تصير حتماً الى الفشل ، فقد اخذنا منذ ذلك الحين بوضع مؤلف شامل عربي في علم المكتبات الحديث وفن تنظيمها يقع في جزئين كبيرين ، يضمان معاً زهاء سبعين فصلاً في اكثر من ٢٠٠٠ صفحة مضروبة على الآلة الكاتبة . وقد اسميناها : « المكتبات العامة واثرها في تكوين الثقافة » والكتاب يشكل موسوعة كاملة تبحث باسهاب وتفصيل كل ما يتعلق بالكتاب منفرداً ومجتمعاً منذ ان خطر للانسان الاول ان يدوّن بنات افكاره ويحيّزها بالخط حتى يومنا هذا . فتناولنا بالدرس مادته اصلاً وفرعاً واثره وروحه ومرضه وخطر شأنه والوراقة قديماً وحديثاً والطباعة والمطالعة وفهارس الكتب ، وعدة امين المكتبة من الثقافة والاختصاص واللغات وسلاحه في عمله من علم الفهارس العامة والخاصة والطبقات ، الى غير ذلك .

ومن فصوله فصل خاص بعنوان : « اين نحن في الشرق من الثقافة » او بين المدرسة

---

(١) الكتاب ، عدد ديسمبر ١٩٤٥ : ٢٤٢ .

(٢) كذلك عدد مارس ١٩٤٥ : ٧٥٦ .

(٣) كذلك عدد ديسمبر ١٩٤٦ : ٣٣٥ .

والمكتبة ، عالجنا فيه قضية بعث الثقافة في الامة العربية . ورأينا ان هذا البعث لا يتم الا بالاكثار من المكتبات وتعميمها في جميع الجهات حتى تتناول جميع الطبقات الشعبية ، ووجوب اسناد ادارة هذه المكتبات الى امناء فنيين اخصائيين اذا ما اريد حقيقة، تأمين وسائل هذا البعث في الشرق العربي . ولما كان مثل هؤلاء الاخصائيين نادرين في الشرق فاننا اقترحنا بياناً باللوائح التي يجب ان يتناولها منهاج الدراسة في هذا المعهد . وها نحن ننشر فيما يلي هذا الاقتراح متوجهين به الى الامانة العامة لجامعة الدول العربية .

مدرسة لتخريج امناء المكتبات في الشرق

المعنا فيما مضى الى الشروط الاساسية التي يجب ان تحرزها خزانة الكتب لتأتي بالنتيجة المتوخاة من انشائها ولتحقق الاغراض الثقافية العليا التي تستهدفها . وتنحصر هذه الشروط ، في نظرنا ، في شرطين اساسيين : ادارة فنية حديثة ورصيد منتقى من المؤلفات . وما الشرط الثاني الا نتيجة طبيعية منطقية للشرط الاول . فيتحتم والحالة هذه ان تؤمن الحكومات العربية في هذا الشرق، للمكتبات العديدة التي نطالب بفتحها ونقترح ايجادها وانشاءها (وهو موضوع فصل خاص في مؤلفنا المذكور اعلاه) خبراء فنيين ، ذوي اختصاص، يتولون ادارة تلك المكتبات .

وقد علمنا الاختبار واجمع كبار الائمة في علم تنظيم المكتبات ان الامر فيها لا يستتب على الوجه الاصلح الا بامناء اخصائيين اكفاء تمرسوا سنوات بابحاث المكتبات وخبروا شؤونها وقضاياها وواجهوا المشكلات الفنية والثقافية والاجتماعية التي تعترض سيرها يوماً بعد يوم .

وعندنا انه من الضروري ان يصار الى انشاء مدرسة خاصة ، في هذا الشرق العربي تعنى كما تعنى مثيلاتها في الغرب بتخريج مأمورين فنيين بعد ان تعدهم الاعداد الفني والمسلكي يتلاءم ومسؤولياتهم وهل اقدر من مصر ، في الشرق ، على القيام باود معهد كتبي كهذا والاضطلاع باعبائه العلمية والعملية . فلدى مصر من الطاقة العلمية والمالية وغير ذلك من الوسائل اللازمة ما يضمن لهذا المعهد النجاح وحسن المصير وخير المسير . وهكذا تتمكن مصر من شق طريق جديدة في حركة تزعمها الثقافية في البلدان العربية . وضماناً لانجاح هذا المشروع ونجاحه نرى ان يربط هذا المعهد الجديد الذي نطالب بفتحه ، بادارة جامعة فؤاد الاول ، ويلحق بكلية الآداب فيها . فيسير تحت رعاية الجامعة التي تتولى تنظيمه بوضع الانظمة والقوانين اللازمة، وتعيين شروط الدخول والانتساب اليه ، وتبيان لوائح التعليم ومناهج الدراسة وآجالها، مشترطة شرطاً اولياً على من يرغب في الالتحاق بهذا المعهد الجديد، ان يكون حاملاً لشهادة البكالوريا . ويعطي الشهادة لمستحقيها بعد وضع اطروحة يستمد موضوعها من تاريخ البلدان العربية وقضاياها الثقافية والاجتماعية .

واننا نعطي هنا بعض ما يجب ان يتناوله برنامج التدريس في هذا المعهد، الذي نتمنى على مصر وجامعة الدول العربية انشاءه . نزولاً عند مطلب الثقافة في الشرق العربي .

١ – الكتاب : تاريخه، مادة الكتابة قديماً واشكالها وتطورها قبل الطباعة – اختراع الطباعة المحامل الطباعية او بواكير الطباعية العربية في الغرب والشرق – الطباعة وتاريخها في الاقطار العربية في القرون الحديثة

٢ – علم قراءة الخطوط العربية القديمة Paléographie Arabe ، فيبحث هذا الدرس تاريخ الخط العربي واقلامه وانواعه وتطورها والنساخة وطرقها والوراقة ومراكزها المشهورة في التمدن الاسلامي والمخطوطات العربية، تحليتها بالرسوم ووشيها بالاشكال والالوان ، وتجليدها ، وادلة المخطوطات العربية وفهارسها في الشرق والغرب

٣ – علم نقد النصوص والوثائق وهو المعروف عند الفرنجة بعلم Diplomatique

٤ – تاريخ المكتبات : في العهد القديم – في الاجيال الوسطى ولا سيما في الشرق العربي ابان ازدهار المدنية الاسلامية – توسعها وتطورها في القرون الحديثة ، اهمية المكتبات ، ضرورتها، رسالتها الثقافية ورسالة امين دار الكتب في العصر الحديث .

٥ – فن تنظيم المكتبات الحديث Bibliothéconomie فيستعرض ادارة المكتبات وتبويب الكتب وتنسيقها ومذاهب التنسيق والتصنيف للعلوم وموضوعاتها وصنع الفهارس البطاقية ، وعلاقة المكتبة بالجمهور ، ونظام المكاتب الداخلي والخارجي ، العارية الدولية وشروطها ، ونظام المبادلات والاستهداء والايداع القانوني

٦ – علم فهارس الكتب العام والخاص Bibliographies وعلم المراجع Réfé - rences ومجاميع الكتب العامة ومجاميع العلوم بحسب الموضوعات الرئيسية .

٧ – الثقافة العربية : مقوماتها ، تفاعلات السياسة العربية والغربية، الاتجاهات الثقافية الحديثة في الشرق العربي وتوجيهها وتنميتها ، حركة الترجمة والنقول العربية في العصر العباسي في العصر الحديث .

٨ – علم الصحافة عامة والصحافة العربية خاصة : تاريخها، اهميتها، تطورها،

تشريعها في القرن التاسع عشر والقرن العشرين .

٩ – الاستشراق والاستعراب : تاريخه ، اسبابه ، الخدمات التي اداها الى الشرق عامة والعالم العربي خاصة ، شيء عن مشاهير المستشرقين في فرنسة ، انكلترا المانية ، روسية ، الولايات المتحدة ، هولاندا .

١٠ – تاريخ علم الآثار الشرقية Hist. de l'Archol. Orientale في القرن التاسع عشر والقرن العشرين .

١١ – اوليات علم العمارة العربية والهندسة البنائية في الشرق .

١٢ – الألسُنيّة العربية وعلاقتها باللغات السامية – المعجمية العربية واهم مجاميعها .

١٣ – تاريخ التمدن الاسلامي .

١٤ – فلسفة التاريخ الشرقي العربي .

١٥ – دور المخطوطات في الشرق وفن تنظيمها .

فاذا ما اخذت مصر العزيزة بهذا الاقتراح وعملت مع دول الجامعة العربية على احقاق هذه الامنية الغالية على كل عربي يغار على البعث الثقافي في الشرق ، شقت الثقافة العربية على يد هذا المعهد وخريجيه طريقاً جديداً واتجهت صعداً نحو مثلها العليا وبشر المستقبل باتجاه جديد يني باطيب الثمار وابركها . وبهذا تكون مصر قد ادت الى البلدان الشرقية خدمات جلّى باعداد فنيين لدور الكتب في الشرق يستطيعون القيام باعباء مهنتهم على الوجه الاكمل . وقد رأينا ما يناط بهم من عهدة ومسؤولية . فامناء المكتبات الخليقون بهذا الاسم هم من قادة الفكر في البلاد ومن موجهي الثقافة فيها ومن الادلاء على مواطن البحث العلمي ، وهم القادرون بما لديهم من كنوز العلم والفن وبما فيهم من استعدادات خلقية على ارشاد القراء والمطالعين الى مواطن العلم ، وايقاظ ميولهم وفضولهم العلمي للاشتغال بالعلم وحقله ، يمهدون لهم سبل وروده .

ومن حسنات مدرسة المكتبات التي نقترح على مصر والجامعة العربية الاخذ بها لخير العرب جامعة ، ان تثير في الاقطار العربية الشقيقة تيارات فكرية يعمل المتخرجون من امناء المكتبات على بعثها وتغذيتها وتوجيهها . كما ان من شأن هذه المدرسة ان تساعد – فيما لو انشئت – على توحيد مناهج التنسيق والتبويب وتوحيد الاصول المتبعة في ادارة المكتبات في البلدان العربية الشقيقة . كذلك من شأنها ان تساعد على ايجاد مصطلحات فنية لكثير من الاوضاع العلمية الحديثة مما له علاقة بهذه العلوم . وهكذا يتاح للبلاد العربية تعاون ثقافي مبارك ، الى ابعد حدود التعاون فتتم بفضل هذا المعهد تلك الاغراض السامية التي حددتها لجنة التعاون الثقافي .

وبينما نحن نرقب ان تقوم مصر وجامعة الدول العربية بتبني اقتراحنا هذا بانشاء معهد للمكتبات لتخريج امناء دور الكتب في الشرق ، نهيب بوزراء التربية والتعليم في البلدان العربية ان تعمد الى تعديل مناهج دور المعلمين فيها بعض التعديل ، فتدخل عليها بعضاً من الدروس التي سبق ذكرها اعلاه . فخليق بدور المعلمين ان تلقن تلاميذها مثلاً الاصول الاولية في الكتاب والكتابة وتطورهما على تعاقب الاجيال والوقوف على علم المخطوطات وتلقينهم مبادىء درسها وفهرستها واطلاعهم على اهم الادلة الموضوعة لفهارس المخطوطات العربية في الشرق والغرب . كذلك من الضروري جداً على اهم كتب المراجع والاصول الكبرى في مختلف المواضيع العلمية والادبية والتاريخية فيسهل عليه الرجوع اليها لدى المقتضي او الاشارة بمراجعتها لمن يستفتيه غداً بامر من امور الثقافة . كذلك نرى من الضروري ان يكون تلميذ دار المعلمين ومعلم الغد واقفاً على طرق التنسيق الكبرى ووضع الفهارس وصنع البطاقات والعناصر التي يجب ان تتوفر في محتوياتها . ذلك ان المعلم مفروض فيه ان يتولى هو ايضاً تنظيم مكتبة المدرسة ، وان يحبب القراءة والمطالعة للتلاميذ . فكيف يقوم بعمله التربوي والتثقيفي والفني ، وكيف يقوم بالارشاد المنتظر منه ، ان كان يجهل اوليات هذه الامور ، ولا يفقه منها شيئاً ؟ فمن الواجب والحالة هذه ان يلم بها والا امتنع عليه العمل واسقط في يده ولم يقم برسالته على الوجه الاكمل .

هذا مجمل ما رأينا بسطه من قضية « ما بعد المدرسة » في الشرق العربي عرضناه على الشعوب العربية وحكوماتها وعلماء الاجتماع والمفكرين والمربين . وهي قضية حيوية تمس جوهر استقلال هذه البلاد وتطورها ونهضتها لانها ركن من اركان وعينا القومي . وقد تعرضنا لها واستعرضنا حلولها وبواطنها ودوافعها ومؤثراتها في مثل هذا الوقت من اتجاهاتنا السياسية في بدء حياتنا الاستقلالية ، اذ يجب ان تكون في مقدمة المسائل التي ينبغي ان نعنى بها شعوباً وافراداً . وان الحل الذي نطالب الاخذ به يكفل وحده لهذا الشرق العربي ، احياء ثقافته ووحدتها والنهوض بها واعلاء مستواها .

يوسف اسعد داغر

بَوْح

قهقهة مجنون
في كهف عار
وانياب عجوز شمطاء
وترجيع صدى عويل الذئاب
في غابة قفراء
ووحشة قلب خال
وعربدة عقلاء في ليلة مجنونة الظلماء
شيءٌ مرّ به الكرام
بل فضلة البخلاء

***

انتِ غصّة الامل
غصة الرجاء
انتِ لا شيء
انتِ من عالم الفناء
اسطورة كوّنتها مخيلة البلهاء
انت وهم وسراب
انت داء ودواء

***

ثورة حبّ بلا رجاء

البير اديب



١ – سعد زغلول ٢ – ابراهيم لنكولن

الكتابان الاول والثاني من سلسلة اعلام الحرية – تأليف الاستاذ قدري قلعجي – ١١٢ ، ٩٦ صفحة – دار العلم للملايين – بيروت

عني العرب ، منذ صدر تاريخهم ، بفن السيرة يدونون فيه اخبار رجالهم ويجلون لهم صورة تبقى من بعدهم للناس . دفعهم الى ذلك ، اول ما دفعهم ، الحرص على تقييد اخبار النبي وتحقيقها ، فوضع ابن اسحق سيرته ، ووضع ابن هشام سيرته ، وانتهت « السيرة » الى ان تعني ، مع الزمان ، حياة النبي العربي ، هذا اذا عريت عن الاضافة الى شخص بعينه .

ثم ذهب العرب مذهباً جديداً في اتجاه هذه الغاية فعنوا بتراجم الاعلام في كل فن يجمعونها بين دفتي كتاب واحد قد تقل مجلداته وقد تكثر ، ودعوا هذه المجاميع كتب الطبقات . فوضع ابن سعد « الطبقات الكبير » الذي ترجم فيه لأئمة الصحابة ، ووضع ابن سلام الجمحي « طبقات الشعراء » ووضع ابن ابي اصيبعة « طبقات الاطباء » وألف آخرون في طبقات الادباء وطبقات النحاة وطبقات ارباب المذاهب الفقهية الخ . . .

ثم اهملنا نحن هذا الفن ، وطوره الغربيون تطويراً استوى معه صنيعاً فنياً لا يتأتى لغير البارزين من الكتاب الذين أطاعهم البيان وتمت لهم ملكه التصوير . وكأني بالاستاذ قدري قلعجي قد ادرك هذا كله وادرك حاجة قراء العربية الى سير نفر من اعاظم الرجال الذين اطلعتهم البشرية ، والذين كان لهم عمل محمود في تحرير الامم او في تحرير الجماعات من شتى ضروب العبودية ، في الشرق والغرب ، وفي القديم والحديث ، فتوفر على اصدار هذه السلسلة ، سلسلة أعلام الحرية ، التي تصدرها في هذه الآونة دار العلم للملايين .

والحق انه ليس شيء أدعى الى استثارة كوامن العزة في الفرد والجماعة وإذكاء روح الفضيلة والتفاني والخدمة العامة فيهما من قراءة سير اعلام الرجال ، فكيف اذا كانوا اعلام الحرية الذين حملوا مشاعلها وتحملوا في سبيلها العنت والكفران ونكران الجميل فلم تلن لهم قناة ، ولم يصدهم عن غايتهم صاد . . . ؟

ولسنا هنا بسبيل الكلام التفصيلي على عمل الاستاذ قدري قلعجي ، فنكتفي بالنص على انه قد اخرج للناس ، من سلسلة اعلامه ، كتابين حتى الآن ، درس في اولهما سعد زغلول متحدثاً عنه كرجل نبت من صلب الشعب ، وكقاض احدث ثورة في القضاء ، وكوزير مجازف لا يعرف لغير الكرامة الوطنية خضوعاً ، وكزعيم اجتمعت له مقومات الزعامة كلها ، وكمجاهد تقدم الصفوف وعانى التشريد وبذل من ذات نفسه وذات ماله لوطنه ولأمته . ورسم في ثانيهما قصة حياة ابراهيم لنكولن الحطاب الاميركي الذي انتهى الى تسنم رئاسة الجمهورية ، دارساً عمله من اجل تحرير العبيد من ربقة مالكيهم في ولايات الجنوب وفي سبيل شد الولايات المتحدة الاميركية بعضها الى بعض ، بعد أن خرجت على الاتحاد الولايات الجنوبية وانشأت الحكومة الائتلافية الجديدة .

وجميلة هذه الطريقة القصصية البارعة التي اصطنعها المؤلف لسلسلته فحفلت صفحاتها بالصور المشرقة والمواقف المثيرة ، ولكن اجمل منها صدور هذه السلسلة المثقفة في وقت تتطلع فيه الشعوب العربية كلها الى الحرية والحق ، بل صدورها في وقت اشاعت اثناءه كلمة الحرية وفقدت معناها فاذا هي على مرونة عجيبة اشتبه معها الامر وانتهى كل فريق الى ان يراها من خلال منظاره الخاص . في مثل هذه الحال كان جميلاً ، بل كان لازماً ، ان نتوجه الى رجال الحرية الصحيحة كسعد ولنكولن وتلك الطبقة نستضيء بهديها ونتتلمذ عليها ، وننشر مبادئها في الناس . « فرامز »

المحرر

اصدرته نقابة محرري الصحف اللبنانية – ١١٢ صفحة – مطبعة الكشاف – بيروت

كتاب يجمع نخبة طيبة من المقالات يحررها اعضاء نقابة محرري الصحافة اللبنانية ، مختلفة الموضوعات باختلاف الاقلام ، فهي تجمع السياسة الى الادب الى الفن الى الاجتماع ، كما تجمع بين التفكير العالي الاسلوب المبين وبين التفكير الساذج والاسلوب المفكك .

وهذا الاثر ، الذي سجلته نقابة المحررين في عهد نقيبها السابق الاستاذ سليم ابو جمرة ، هو واحد من جهود الاستاذ ابو جمرة بسبيل ترقية مهنة التحرير ورفع شأن المحرر ، هذا المحرر الذي يحارب ويموت

كزميله الجندي في ساحة القتال ، في حين ان القائد يرقى سلم المجد ويزين صدره بالاوسمة ويخلده التاريخ . .

واذا درجت نقابة المحررين على اصدار كتاب كل عام على هذا النمط ، فلا شك ان مجموعة الكتب التي ستتألف عاماً بعد عام ستسجل خط تطور الاقلام الصحفية في لبنان وتأريخها تاريخاً صحيحاً .

المخطوطات المصورة والمزوقة عند العرب

للفيكنت فيليب دي طرازي – ٣٥ صفحة – مطبعة الضاد – حلب

الاستاذ المؤلف مولع بدرس الموضوعات الطريفة احيانـاً ، والنادرة المجهولة احياناً . . وهو حين يتناول موضوعه يتكفل بالتقصي والاستيعاب ، ثم يذهب بحصوله الوفير فيوزعه ويبوبه ويصنفه . . فلا يقصر استيعاباً ، على انه يحسن تصنيفاً .

والموضوع الذي اختص به هذه الرسالة ، شاهد مـا نقول . فهو طريف نادر ، فيه استيعاب وفيه جودة تصنيف . . موضوع لم يطرق الا قليلاً ، ولم يتناوله الباحثون الا تناولاً رفيقاً ولماماً . فلا بدع اذا وقع لدى الدارسين الشادين ، موقع التحفة الفريدة او النهلة للظامىء .

والمؤلف الفاضل عقد رسالته على فصول ، بدأها بنظرة اجمالية في فن التصوير عند المسلمين فسفر وعلل .. وبعد التفسير والتعليل ثم تحدث عن نشأته عند العرب وعن مخطوطات الطب المصورة ومخطوطات الكيمياء كذلك . . وهنا يتلقاك بنبأ مهم مدهش ، وهو المخطوطات اللغوية المحلاة بالصور الشارحة . وهكذا يذهب بنا قـاصاً قصة المخطوطات المصورة الادبية فالدينية عند العرب النصارى والمسلمين فالتاريخية فالجغرافية فالحربية فالصناعية والآلية فالسحرية فالهندسية فالنباتية فالموسيقية فالفلكية فـالدائرة على الفروسية والصيد والبيطرة . . والرسالة بعد ذلك كيفما تقلبت في مذاهبهـا ، تقع على الماتع الشيق .

اضواء ورسوم

للاستاذ عبد السلام رستم – ٨٣ صفحة – مطبعة نهضة مصر – القاهرة

سبق للشاعر صاحب هذه المجموعة انه طالع الناس بمجموعة قبلها ، وهو في مجموعته متين البناء والسبك يعمل على الانتقاء والتخير ، بيد انه لفظي فيما يغلب عليه من لون .

ومن الخير ان ننبه الى ان لفظيته ليست خواء ، بل تشتمل على التاعات ساطعة الشبوب ، ولحظات الهام عميقة مدى التفجر ، ولكنها نادرة قليلة لا تكسب ادبه لوناً . ولعل من اجمل قطعه واغناها ، قطعة « اشباح الليل » .

القصة الروسية في الادب العربي الحديث

للاستاذ يوسف اسعد داغر – ٢٠ صفحة – المطبعة المخلصية – صيدا

للاستاذ داغر جهد مثمر حقاً في حقل المكتبة العربية ، وتنسيقها على اقوم المناهج واصح الاساليب التي تفتق عنها الرأي في تقسيم المعارف البشرية .

هذا الرأي الذي هو جانب من نظرية المعرفة نفسها ، فلابدع اذا رأينا فيه الاختلاف الذي عهدناه فيها ، ولابدع بالتالي اذا رأينا في حقل التبويب ايضاً الاختلاف نفسه . . ومن هنـا ندرك مقدار ما يجهد ويشقى العامل في حقل التنسيق مطبقـاً عليه الاسلوب العلمي السليم .

والحق ان لنا بالاستاذ داغر اليوم ، ما كان للقدماء بملا كاتب جلبي في كشف الظنون ، وابي الفرج ابن النديم في الفهرست .

وهذه الرسالة جانب من مجهوده الضخم ، تعبر عنه خير تعبير وتضعه امام الاعين بكل قيمته ، ولا سيما اذا اخذناها على انهـا جانب فرعي وجزئي جداً ، وفيه كل هذا الجهد والتتبع .

على انه مهد للرسالة بمقدمة نوه فيها بقيمة الادب الروسي ومكانته ومدى تـأثيره ، على الحركة الادبية غربي اوربا وفي امريكا ، ثم بأثره في ادبنا العربي الحديث . . فكان فيها موفقـاً خير توفيق ومحصياً خير احصاء .

الحرب العالمية الثانية

للاستاذ اسكندر الخوري البيتجالي – ١١٢ صفحة – مطبعة الحلبي – القاهرة

الاستاذ الخوري شاعر معروف ، جهد كثيراً في الحقل الادبي واعطى نتاجاً زكياً ، وقدم للعربية ارثاً فيه غنى وفيه متاع .

وفي هذا الكتاب شاء ان يتحف بملحمة شعرية ، اتى فيها على اخبار هذه الحرب العالمية الثانية فاجاد وافتن . . وزاد في قيمة هذا الاثر ، انه علق عليه حواشي ضافية تشرح ما تضمنته الملحمة من اشارات الى احداث وحوادث واشخاص ، فكان بذلك كما قال الاستاذ محمود طه في مقدمته « كتابين في كتاب » يظفر منهما عشاق الادب الرفيع بنصيب وافر ، ويرجع محبو التاريخ بقسط ملىء زاخر .

على المحك

للاستاذ مارون عبود—٢٩٠ صفحة—منشورات دار العلم الملايين—بيروت

كتاب ليس هو بالدراسة كما يفهم من كلمه الدراسة ، وليس هو بالنقد كما يفهم من كلمة النقد. بل صنيع بكر، نهج سبيله وقوم اسلوبه وافرغ شيته ، الاستاذ مارون عبود في فن عربيتنا الحديثة .

ثم لا اتورع، فاتحاشى ان اقول : في فن عربيتنا دون هذا التخصيص الذي قديمه بظلم، ويلحقه بجور، ويعود عليه بلملمة من جوانب قيمته . . رغم ما للجاحظ وصنوه ابي حيان، من ذمم وحقوق في هذا المنهج وهذا الصنيع .

فلقد استلان لصاحبنا مارون في كتابه هذا ومن قبله في « الرؤوس »، ان يشيد في مَراد النقد، بنية لم تكن لغيره، ولم تتنزل لبناتها في شكل ما تنزلت عنده .

فعهدنا منه في عربيتنا، ما عهد الاغريق في «زوئيل»، هذا الاسم الذي اطلقته مدرسة الاسكندرية البيانية، على نوع من النقد لم تعهد العربية من امره الا قليلا قبل مؤلفنا .

فقد اتخذت من اسمي «زوئيل Zoile » و«اريستاك Aristaque » رمزين في الادب اليوناني ، لنوعين من النقد . فالاول يشير الى نوع من النقد المتكشف الضاحك او الساخر ، ويقال عنه « نقد زوئيلي » . والثاني يشير الى نوع من النقد الجاد او العابس ويقال عنه « نقد اريستاكي » .

ومن الخير ان نورد هنا شاهد النقد الزوئيلي الذي يهمنا امره الآن لتعلم حدوده ، ورد في الاغنية الخامسة من ايلياذة «هومير» :

ان « فيجيه » البطل التروادي سقط ميتاً تحت ضربات ديوميد وان اخاه « ايدي » غلبه الخوف والهلع فنزل عن مركبته لينجو باوفر سرعة . . فقال زوئيل : هذا ابتكار مدهش من هومير ، اترى ان خيل ايدي ، لم تكن اضمن لسرعة هربه من رجليه .

وورد في الاغنية نفسها ، ان ديوميد الجندي ممشوق «بلاّس» قد لبس درعه وسار الى القتال ، وانه ليخيل ان الشرر يقدح من خوذته . . فقال زوئيل : لم يبال هومير بهامة البطل ان تحترق وقد وضع فوقها موقداً يؤج بالسنة اللهب .

ولبثت زمناً ، وانا في سياقة بحث عن النقد العربي ، لاجد فيه ما يتفق به من هذا، مع صنوه الاغريقي . . فوجدت كثيراً من مثل « اريستاك » ، ولكن عز فيه مثل « زوئيل » . وان اكن يومذاك ، رأيت المصادفة التي عرضت لمدرسة الاسكندرية في شخص هومير ، تتكرر ثانية في شخص المتنبي . . فكان بين شراحه مثل زوئيل ، وهو الصاحب ابن عباد في رسالته «مساوى ابي الطيب المتنبي » ، ومثل اريستاك وهو ابو الحسن الجرجاني في كتابه « الوساطة بين ابي الطيب وخصومه » . . فمضيت أسم النقد من النوع الاول «بالصاحبي»، واسمه من النوع الثاني «بالجرجاني»

ولكن—ولنا اليوم — مثل مارون ، فليس عنه معدى في تركيز السمة به ، وطبعها بطابع النسبة اليه . . .

وهذا النوع النقدي—وسنته تعتمد الضربة الخاتلة—لا تنتظر ان تجد فيه حقاً خالصاً، واحكاماً تترسم الصدق اول ما تترسم . . بل متعته في انه كذلك ، في انه يريك ماهو كالحق فيما هو من الياف الباطل ، ويريك ما هو كالماء فيما هو من ذرات السراب .

انها « بهلوانية ادبية » ، ولكنها قديرة ، بالغة الجمال ، بالغة الخير ايضاً على الادب فحظه منها ثروة ضخمة تسعد وتشقي . وان لم تكن بالغة الحق او عنده ، في كثير من مواقعها وتسقطاتها . فهي الوفاق لما مضى به مثل القدماء . (يريك الوطف في الكوب الحفف)

فلا عليك اذن ، الا ان تأخذها مثل نماذج وقطع من الادب او الفن ، وكفاك فائدة وكفاك نشوة .

وعلى محكه وضع في هذا الكتاب طائفة من الاعلام الشعراء وبالاحرى الضحايا وقد عرضهم لقبضتيه جميعاً ، لا يبالي اني انتهتا به وكيف اعتصرتا . . وصاحبنا مارون ممن اوتي بسطة ايضاً في الجسم ، فلو كان غير الاديب لروع ، او القمو في كل مباراة حتى لا يقام له .

تناول بشارة الخوري فظلمه ، على انه كان معه وفاق المثل الجاهلي (اريه السها ويريني القمر) . . وتناول العقاد فامتك محه ، وغادر منه اشلاء . . وتناول الصافي النجفي فباء باثم وتجنى ، وتبصر كيف حال ببيته الخالد :

واسكن كوخاً ما به اي زخرف   ولكنه كوخ اقامته لي يدي

ص ٥٨ تدرك مبلغ الاثم الذي اقترف . . وهكذا يتناول الزهاوي والرصافي والمعلوف وعلى الجارم الى آخرين غيرهم .

وكان حقاً ان نذهب معه في تفصيلاته ، ولكنها المناسبة العابرة التي لم تتمهل بنا الا بقدر ، ولعله الى حين .

فالكتاب بما فيه من غنى ، وبما يزيح من سدائل دون افق جديد في النقد، يحتاجنا الى وقفات تفيه، وتنهض ببعض حقه وفنه .

عبد الله العلايلي

بيني وبين محمود الشريف وام كلثوم

بقلم عبد القادر محمود
مدرس اللغة العربية وادابها في المدارس الثانوية بمصر

☆

في احدى الاركان المنعزلة بنادى السينما بمصر كنت اجلس منذ اعوام مع صديقي الشاعر عبد الرحمن الخميسي، وكانت الموائد تموج وتحور بالضجيج والحديث والضحكات. هذه كوكا، هذه فاطمة رشدى، هذا احمد جلال هذه ماري كويني.. وقال لي اخي عبد الرحمن تعال.. هذا ركن منعزل فيه من الجو الشاعر ما يبعث على الاستيحاء والتأمل وجلسنا نتناشد شعرينا، وكان امامنا في قرب شاب يظهر انه دخل ونحن في غيبوبتنا الروحية.. وحدث ان دخل علينا الاستاذ انور احمد الاديب القانوني الفنان فوصل ما بين المائدتين وقرأنا شعرا وقارنا بين الموسيقى البدائية والمسرحية في مختلف الازمنة، وحال صمت تكلم بعده ذلك الشاب الحالم، فقال لماذا انت تحلم؟ قلت له: لانك تحلم فانا موصول بك وباحساسك الذي يتصل بعالم الابد، وانا احلم لانك ذكرتني بنفسي فتطلعت فيك لاراها. وكان سلام وفراق تذكرت معه ان اقول له الى لقاء حبيب قريب.. فانا معجب بتلحينه (المنولوج) (العشرة صعبانه عليا) تلك الاغنية التي كنت اغنيها في منتصف الليل مع أخي عبد الرحمن، فتدمع عيوننا على اصداء انغامها الحية، ولكنه كان قد مرق كالسهم.. واحببت ان القاه لآنس بروحه القوي فلم اجده، واستعنت بصديقي عبد الرحمن فلم نعثر له على اثر، وقال لي صديقي الاستاذ محمد فتحي بك المراقب العام للاذاعة حين هنأته بنجاح اوبريت (روما تحترق)، انه فنان موهوب او لست ترى كذلك؟ قلت له انه لفخر عظيم لك ان تقدم هذا الفنان وان تدفع به الى قمة المجد.

ومرت الايام ومرضت شهوراً، فصحوت ولكن لم أجد بجواري الا تحية حارة كتبها صديقي عبد الرحمن الخميسي عن صديقه كاتب هذه السطور في احدى الصحف، اقام فيها بركاناً ثائراً على الاسماء التي سطعت بغير اصالة، وقال عن الشريف: اننا نرقب في هذا الفنان فتحاً جديداً وسوف ترى مصر ويرى تاريخ الفن، في فنه وفن الشباب الاسس الثابتة لزاد جديد..

وهاجر صديقي عبد الرحمن الى الاقطار الشقيقة دون ان يودعني وانا مريض، فلبثت وانا في عزلة الا عن نفسي في صومعتي. وفي هذه الفترة المنقطعة المعتزلة جلست وانا احاول في فواصل الصمت ان ادير مفاتيح (الراديو) لاسمع صوت صديقي عبد الرحمن من محطة الشرق الادنى وانغام الشريف هنا وهناك. وفي هذه الفترة وضعت اوبريت (هرون الرشيد) لمعهد الموسيقى الملكي وعربت اوبرا عايدة مع الاحتفاظ بالاصل الموسيقى ووضعت اوبرا عذارى العيد اقتباساً من الاوبرا الايطالية القديمة للمعهد العالي للموسيقى المسرحية.

وكانت هناك فكرتان تشغلانني (ام كلثوم، ومحمود الشريف) وتساءلت لماذا لا يلحن محمود الشريف لام كلثوم فكرت وارسلت الى ام كلثوم خطاباً ضمنته مقطوعة شعرية قدمها سعيد لطفي باشا تقديماً خاصاً ولكنها اعتذرت تليفونياً ثم كتابياً بانصرافها الى عملها في الافلام ومقطوعاتها وكنت انظر في هذه الفترة الى صديقي محمود الشريف بعين الاعجاب فاحببت ان أركن اليه، فوضعت اوبريت (آدم وحواء) للاذاعة وطلبت الى الاستاذ محمد فتحي بك ان يخرجها في موسيقى محمود الشريف، وقالى لي المراقب العام للاذاعة عقب عودتي من الاجازة الصيفية هذا العام (اهنئك) قلت له على اي شيء؟ فقال على اوبريت (آدم وحواء) فقد اعجب بها الشريف كل الاعجاب وهو الآن ينتهي من وضع موسيقاها وقابلت الشريف بعد شوق طال واستطال... هل تعرف يا قارئي العزيز ويا قارئتي العزيزة هل تعرفان روح الاسد ورقة النسيم؟ انهما محمود الشريف. وقال لي محمود منذ ايام قليلة: ان هذه الخنوثة التي يموج فيها الافق المنحل هي التي جعلتني اركن الى الصمت قليلاً ولكني سأتقدم

بهذه الاوبريت بكل اعتزاز وثقة وحبذا لو وضعت لي مثلها وامثالها في وقت قريب .

وبينما كنت اتمم له اوبريت (يوسف الصديق) وافكر كيف القاه ، اذا بالصباح يطلع علي في جريدة اخبار اليوم بنبأ زواج محمود الشريف من ام كلثوم، بعد قصة حب دامت شهرين . هنا فركت عيني كثيراً لاتحقق الخبر العظيم الجليل، وفرحت لأم كلثوم ولاخي محمود فارسلت الى ام كلثوم هذه الابيات :

ما اسعد الكون والدنيا بمحمود   يا ام كلثوم يا نبع الاغاريد
اليوم عيدي وعيد الفن فاستمعي   في موكب الصبح افواج الاناشيد
يا ام كلثوم . . في دنياي اغنية   ينساب منها الهوى في حب محمود
اني اهني بك الدنيا باجمعها   يا كعبة المجد والالهام والجود

وارسلت الى اخي محمود : —

محمود يا دوحتي يا فجر ايامي   يا اغنيات الهوى يا وحي الهامي
قدست فيك سمائي يا سنا املي   وذقت منها اغاريدي واحلامي
كل الوجود يغني اليوم اغنية   في ام كلثوم تندى بالهوى السامي
العيد عيد الهوى والفن يا قبسا   من عالم الخلد عاشت فيه انغامي
لما سمعت من الانسام غنوتها   هنأت دهري واعيادي وايامي

ومرت ايام خمسة فوجئت بعدها بنبأ فسخ العقد ، وقالت احدى الصحف المصرية ان هذا لم يكن الا دعاية لفيلم مصطفى امين الذي ستقدمه ام كلثوم ، وقال آخرون انها قصة خالدة في تاريخ الهوى والفن . . اما الذين قالوا انها دعاية فكاذبون في دعواهم واما انها قصة خالدة في تاريخ الهوى والفن فهذا حق لا ريب فيه . فقد أحبت ام كلثوم محمود الشريف ما في ذلك شك ، احبت فيه الرجل الذي لم تجده في حياتها السامية واحبت فيه الفنان الذي لم تجده في اوتارها الناقصة ، ولكن كيف فسخ العقد ؟ هذا موضوع لم يتكلم فيه صديقي محمود ولن يتكلم فيه الآن كما حدثني بعينيه وصوته ولسانه . ولا شك في ان ماذكره مصطفى امين في خبره ان ام كلثوم لم ترض بالزواج من محمود لانها لا ترضى ان تفجع زوجته ، محض افتراء وسفسطة فما كان الحب ليعترف الا بنفسه ولكن . . . . ولكن وراء الحجب قيداً أدامياً من قيود المظاهر والتقاليد ، ولكن وراء الحجب سيفاً باطشاً من سورة الدعاوى الكاذبة في هذه الحياة الكاذبة المخادعة . هذا القيد وذاك السيف مزقا العقد ، ولكن ليس في الارض من قوة تستطيع ان تقطع ما وصل الله والحب . . ان حب ام كلثوم انتصار لأم كلثوم وللفن في تاريخ ام كلثوم ، وفن محمود الشريف فالذين عرفوه مصوراً لما يجول به الاحساس الساذج في اغنية (يا بو العيون السود) وانا مالي يا بوى ونا مالي)، ادركوا قيمة فنه وقوة ادراكه وسمو احساسه في اوبريت (روما تحترق) و(بالوما) اللتين قدمها للاذاعة، واوبريت (آدم وحواء) و(اللحن الحزين) اللتين سيقدمها قريباً .

يا ايتها الابواق الكاذبة في مهاوي النقائص . . روح احبت روحاً ما شأنكم بهما . . وفنانة عشقت فناناً ما حقدكم عليهما . وفن احب فناً ما بالكم تنشرون عليهما ظلال النفوس السوداء ، وما سبيل هذه النزعة التي تقرب الناس والنفوس من الجحود وتبعد بهم عن المثالية الصحيحة . . . اريحوا انفسكم من مظاهر الحياة ، فقد انتصر الحب وانتصر الشريف وما عاش الا الحب الذي هو روح الله ونزلت من اجله الشرائع، وما عاش الا الفن الذي هو ريشة الله التي سطرت بدائع ما اخرجت العقول والاحاسيس .

القاهرة   عبد القادر محمود

شكيب يسعى الى تخطي العقبات وكثيراً ما أفلح فجاءت عبارته خالية بقدر الامكان من غريب اللفظ ووحشي التركيب . وقد يأتي باللفظ الغريب فيضعه موضعاً يجعله مألوفاً فلا يمجه السمع ولا ينكره الفهم . وكان اسلوبه على الغالب بليغاً بلا تقعر او تعقيد وسهلاً بلا ضعف او ركاكة .

واما شعره فقد امتاز ببلاغته وصحة مبناه اكثر من معانيه الشعرية ولهذا كانت قيمته الادبية في صناعة النظم اكثر من الخيال الشعري الذي يستمده الشاعر من اللاوعي ويتعدى مشاعرنا المادية الى مشاعرنا واحساسنا الروحي .

اما ما اكتسبه من شهرة واسعة في عالم الادب فراجع الى انه كان مكثاراً في الكتابة وما انفك طول حياته عن مبادلة الادباء والشعراء في العراق ومصر والمغرب وسائر بلاد الشام ، وما خلفه من الآثار نثراً وشعراً في اكثر صحف العالم العربي ومجلاته مما خلد ذكره وطبقت شهرته الخافقين وهذه بعض مؤلفاته . . . رواية « آخر بني سراج » مترجمة « حاضر العالم الاسلامي » فيه فصول فصول وتعليقات مستفيضة من قلمه ، ديوان شعري ، « الباكورة » طبعه وهو ما زال في السابعة من عمره . « الحلل السندسية » . و« الابتسامات اللطاف » . وكتابه « السيد رشيد رضى او اخاء اربعين عاماً » . و « لماذا تأخر المسلمون » . وهو الذي اكتشف « ديوان اليتيمة » في خزائن استانبول .

العبادية   امين محمد ابو عز الدين



٢٦ تشرين ثاني سنة ١٩٤٦ – اصدر الملك فاروق امراً ملكياً بحل هيئة المفاوضة المصرية في لجنة المفاوضات المصرية البريطانية . وقد تطورت القضية المصرية تطوراً خطيرا بعد المظاهرات التي قامت في شبرا والعباسية والقاء قنبلة على القيادة البريطانية العليا في مصر .

– ارسلت الحكومة الاميركية مذكرة الى بولونيا تعبر فيها عن املها بان يتدبر لجميع الاحزاب الديموقراطية في بولونيا والتي كانت سابقاً مناوئة للنازية ان تنال حقوقاً متساوية في الانتخابات البولونية القادمة .

٢٧ – احتلت القوات الايرانية جميع منطقة «خامسن» الواقعة على محاذاة حدود اذربيجان

٢٨ – وافقت اللجنة السياسية للامم المتحدة على اقتراح مصر بشأن سحب الجيوش الاجنبية وعلى اقتراح بريطانيا عن عدد الجيوش في كل دولة .

٢٩ – صرح نوري باشا السعيد قائلا : لا صحة مطلقاً لما يشاع عني باني واضع مشروع سوريا الكبرى ونفى نبأ عقد معاهدة عسكرية بين تركيا والعراق .

٢ كانون اول ١٩٤٦ – نفى في الدنمرك الانباء القائلة ان روسيا طلبت من حكومة الدنمرك انشاء قواعد لها في الدنمرك .

– اذاع راديو طهران ان الجيوش الايرانية قد دخلت مدينة زنجان في اذربيجان الواقعة على بعد ١٨٠ ميلاً شمال غربي طهران .

٣ – زودت حكومة اذربيجان العمال بالسلاح للدفاع عن البلاد بعد ان احتل الجيش الايراني زنجان .

– وجه الحاكم السوفياتي في المانيا امراً الى جميع رؤساء المناطق في منطقة الاحتلال السوفياتية بان يسلموا كافة السلطات التي كانوا يمارسونها الى المجالس الاقليمية والحكومات التي انتخبت مؤخراً .

٤ – انتخبت اللجنة السياسية للجمعية العمومية التابعة لهيئة الامم المتحدة لجنة فرعية لوضع نص اتفاقية نزع السلاح وكانت سوريا ومصر عضوين فيها .

– اتفق الوزراء الاربعة الكبار على ان تكون حدود البانيا الجديدة هي نفس الحدود التي كان معترفاً بها عام ١٩٤١ .

٥ – اذاع راديو تبريز ان القتال مايزال مستمراً في اذربيجان بين الجيش الايراني والقوات الديمقراطية .

٦ – حمل المندوب السوفياتي حملة عنيفة على الولايات المتحدة لتأييدها تعيين المقر الدائم للامم المتحدة في سان فرنسيسكو واعلن ان الوفد السوفياتي لن يذهب الى سان فرنسيسكو مها كانت الظروف .

٩ – كلف الملك فاروق النقراشي باشا بتاليف الوزارة الجديدة .

– صرح المستر بيفن لزعماء الرابطة الهندية ان بريطانيا تحتفظ بقوات كبيرة في الشرق الاوسط لمجابهة الخطر الروسي .

١٠ – وجهت بلغاريا كتاباً الى الامين العام لهيئة الامم المتحدة تطلب فيه ان يسمح لممثل بلغاريا بالاشتراك بجلسة مجلس الامن التي تنعقد اليوم لدرس شكوى اليونان على البانيا وبلغاريا ويوغوسلافيا .

– قررت اللجنة السياسية ان توصي جميع اعضاء هيئة الامم المتحدة بسحب سفرائهم ووزرائهم المفوضين من اسبانيا الفرنكية .

١١ – استسلمت تبريز عاصمة اذربيجان للقوات الامبراطورية الايرانية .

١٢ – انتخبت الجمعية الوطنية الفرنسية المسيو ليون بلوم زعيم الحزب الاشتراكي رئيساً للحكومة الفرنسية الموقتة .

١٣ – جاء في جريدة النيوز كرونيكل ان المحادثات العسكرية البريطانية الاميركية تمكن بريطانيا من الحصول على اسلحة ذرية من الولايات المتحدة بحال اشتراكها في حرب مقبلة .

١٤ – امتنعت الدول العربية مع تسع دول اخرى عن القاء اصواتها في اقتراع الجمعية العامة لجامعة الامم لسحب رؤساء بعثاتها الدبلوماسية من مدريد .

– انتهت الحرب المنظمة في اذربيجان .

١٦ – اختتمت جمعية الامم المتحدة دورتها بعد ان قررت : قبول سيام في المنظمة

١٧ – القى المسيو بلوم البيان الوزاري امام المجلس التاسيسي وشرح فيه سياسة الحكومة الداخلية والخارجية وعلى الاثر نالت وزارته الثقة باكثرية الاصوات .

– اضرب مئات الوف العمال في نابولي وضواحيها احتجاجاً على الحالة الغذائية السيئة .

١٨ – اصبحت اذربيجان بكاملها تحت سيطرة الحكومة الايرانية .

– وقعت اصطدامات دامية في هانوي في الهند الصينية بين الاناميين والفرنسيين .

١٩ – اعلن وزير التجهيزات البريطانية ان نصف المصانع البريطانية التي كانت تصنع الذخائر ستظل محفوظة بحالة جيدة .

– اتخذت الاصطدامات بين الفرنسيين والاناميين في الهند الصينية شكلاً خطيراً فقد وقع ٣٢٠ قتيلاً وجرحى كثيرون .

٢١ – عين الدكتور عبد الحسن صادقي حاكماً لمقاطعة اذربيجان .

٢٢ – اعلن المستر بيفن بياناً استعرض فيه المشاكل التي ذللها مؤتمر الامم المتحدة .

٢٣ – اذاع المندوب السامي الفرنسي بياناً يدعو فيه جيش فيات نام الى الاستسلام معلناً الاحكام العرفية .

٢٤ – قرر المؤتمر الصهيوني المنعقد في « بال » عدم الاشتراك في مؤتمر لندن لبحث المشكلة الفلسطينية .

٢٦ – انذرت اليونان بلغاريا بمطاردة العصابات الشيوعية الهاربة الى ما وراء الحدود البلغارية ما لم تتوقف بلغاريا عن مساعدة هذه العصابات .

٢٧ – قدمت المنظمات الفيتنامية طلباً الى وزير المستعمرات الفرنسية ملتمسين ايقاف الاعمال الحربية حالا ومباشرة المفاوضات .

٢٨ – اعلن الجنرال ديغول انه لن يرشح نفسه في الانتخاب لرئاسة الجمهورية الفرنسية الرابعة .

– انتخب شانتير دي ريب رئيساً للشيوخ بفرنسا .

– سلم وزير خارجية بولونيا سفير انكلترا في فرسوفيا مذكرة يطلب فيها ان تعاد القوات البولونية المسلحة الموجودة في البلدان الغربية الى بلادها .

مطابع صادر ريحاني ، بيروت ، لبنان – تلفون ٦٢ – ٦٨